على عتباتِ الحرفِ و الحبِّ

بقلم: أحمد الحارون

Vers. 23.10.2017

......

يا أخا الإسلامِ في الهند أو في المشرق... أنا منكَ أنتَ مني أنت بي

لا تسل عن عنصري عن نسبي... إنه الإسلام أمي وأبي

ألفناها في عهد الصبا كلمات، وعشناها مشاعر وأحاسيس مع خريف العمر وربيعه؛ كنتُ دوماً من سمِّ الخياط أنظر إلى عالمي الرحبِ، في حلي وترحالي أتوسد حقيبتي! فــ في ركن منها... بعض أغاني فيروز ... وشطرنج، أشعار الشافعي وابن أبي طالب، وركن يتوكأ عليه ابن القيم؛ وبقية الأركان والزوايا تنام قريرة العين

أنقاضُ ... وهموم الوطن

فأنا ... مصري المولد

نجدي وحجازي النزعة

مقدسي الهوى

شامي الوجدان

مغاربي الصبابة

يماني الوجد

بوصلتي حيث يسجد المسلم، وقبلتي أنين كل مكلوم؛ أشعر أني سبب تعاسة الإنسانية، ولولا تقصيري لكانت حياة الكثيرين على نحوٍ أفضل، لذا... تسكنني الهموم، ويقطن أحشائي الشجن، ومن هموم الوطن، وشجون الأمة أحاول أن أنسج عقود محبة، وأنثر أكاليل الإخوة، وأردد قيثارة عشقي للجميع، هي عزفٌ، هي نزفٌ، هي بوحٌ، هي خواطر ذات؛ وأغزل وأغزل... وحين لا أجد نساجاً لغزلي، أهم بكسر المغزل، لكن... أجد نداءً خفيّاً يهمس :لا لا، لا تكسر مغزلك.

(**ألف**) ... أقبلْ وسترى!

....

لو أمكن أحدنا أن يسافر عبر الماضي فيجاور إحدى غُرَفِ النبوةِ، أو يطلع على حياة الصالحين سيدركُ أن الغِنى ليسَ في الغرفِ وسعتها، ولكن في النفسِ وفسحتِها، وسيعرفُ أنَّ أسعدَ القلوبِ قلبٌ إذا أقبلت الدنيا عليه أدبرَ عنها، وترقَّبَ زوالَ نعمته متى جاءت، فإنْ بقيت فنعمَّا هي وشكرَ، وإنْ زالت فقد جهزَ نفسه لذلك وصبرَ، وهذا سرُّ من أسرار الروح والغيب، ونعم القول:" اخشوشنوا فإنَّ النعمةَ لا تدوم"، فلا غرابة أنْ تجد من يفترشُ الأرضَ ويلتحفُ السماءَ أكثرُ سعادةً ممن يتقلَّبُ في دِثاره الناعم، فالسعادة لا تأتي من خارج النفس، بل في السير في طريق الحقِّ مهما كان شائكاً.

والنفسُ العاليةُ لا تخضعُ للحوادثِ مهما جَلَّ خَطْبُها، ولا تتأثرُ بالملماتِ مهما عَظُمَ شأنُها، بل تزيدها النوائبُ قوةً ومراساً، فهي كالأسدِ بين السباعِ، لا تقع عينُه أو مخالبُه على فريسةِ غيره مهما قرَّحَ الجوعُ مَعِدتَه، وغايتُها عفوَ المتعالِ ولو كانت في مطارحِ الاعتقال، لذا تجد في سمتِ المؤمن أجملَ ما رأت عينُكَ صورة، وأرقَّ ما عرفتِ نفسُكَ شمائلَ، وأعذبَ ما سمعت أُذنُكَ حديثاً، وأوضأَ مَن شاهدت ذاتكَ ثغراً؛ سُئِلَ الشافعي: ما أعظم عمل يتقرب به العبد لمولاه؟ فبكى وقال: أنْ ينظرَ إلى قلبك فيرى أنكَ لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو، وليعلم جميعنا... لا يؤخر اللهُ أمراً إلا لخير، ولا يحرمكَ ولا يبتليك إلا لخير، فربُّ الخير لا يأتي إلا بخير؛ والطريقُ إليه مفروشٌ بالابتلاءِ، وهو طويلٌ لا نهاية له، وليس المهم أنْ تصلَ إلى آخره، بل أنْ تموتَ عليه.

ومن هوان الدنيا على الله أنْ ترك كلاب المترفين فيها تشبع مع المترفين، وترك حملة الوحي فيها يهونون مع الوحي، سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول: اللهم آتني أفضل ما أتيته عبادك الصالحين! فقال: "إذن يُعقر جوادك ويُراق دمك"، حتى الجواد يُقتل مع صاحبه، فجواد الفارس لا يشبه أخاه الذي يجرُّ عربة البضاعة، ومن اصطفاه الله في الدنيا لا يرجع إلى الآخرة دون أداء رسالته، ولا يعود سالماً من طعنات الدنيا الغادرة.

واعلم رعاكَ الله أنَّ للقلوبِ فقهٌ وللجوارح آخر، وكلاهما مهم، وفقهُ الجوارح مقارنة بفقه القلوب كذرةٍ في جبل، أو حصاةٍ في فلاة، فلا قبول لعمل إلا باجتماعهما، فهذا يكمل ذاك ويتممه، وحاجةُ القلوبِ إلى الإيمانِ أعظمُ من حاجةِ الأبدانِ للأقواتِ، وأكثرنا يفهم في فقه الجوارح أضعاف ما يعرف من فقه القلوب، وكل نقصٍ في العمل مرده إلى نقص الإيمان الذي محله القلب، فهذا يرمي بجسده في الصف داخل الصلاة ويسلم نفسه لله، ولكن إذا خرج من المسجد لا يستطيع أن يسلمَ بعض وقته لدعوته، ولو كان للمسجد إرادة لطردنا جميعاً إلا من رحم، ولو كانت لمعاصينا روائح ما هام قلبٌ بقلبٍ، ولا أنِست روحٌ إلفها، ومتى زاد النور في القلب نابَ إلى الله وأقبل على طاعته، وكلٌّ من أحبَّ الله أنِسَ به، ومن أحبَّ غيره عُذِبَ به.

وكثرة الجدل مرجعه إلى ضعف الإيمان، فلا جدلَ إلا بالتي هي أحسن، والتي أحسن يحددها أهل العلم وليس عوام الناس، وأغلبنا قوالٌ وليس فعالاً، ونشْكُو الظلمَ وفي أعماقِنا خناجرُ الانتقامِ، ندعي العدلَ ونحنُ أبعدُ الناس مِنه، نلعنُ فاتلَ الحبالِ كُلما شُنِقَ أحدُنا ونغدقُ على الشانقِ، وما أقبحَ قوم حينَ يعتقلونَ الفكرَ ويُطلقون سراحَ الجهلِ! وتتوقف الحياة لدينا إذا انسلَّت شعرة في العين، ولا ننتبه حين يغزونا النفاق والشرك الخفي.

وتعلمنا من تجاربِ الصالحين أن العابدَ لا يتجاوز ميدانُه ذاتَه التي بين جنبيه، أما الداعية ميدانه كل الناس، وفي كليهما خيرٌ، وشتان بين واجب الأمة ووظيفتها، فالعبادة واجب الأمة لا تنقطع، والدعوة وظيفة الأمة وفيها حياتها وبقاؤها، والعبادة قطرة والدعوة بحر، وإن كان البحر لا يتجمع إلا من قطرات.

وتعلمنا من ديننا ورحمته أنْ يسرع الإمام لبكاء طفل غابت أمه، ونقطع الفريضة لننقذَ نفْساً من شرٍّ محدق بها، وهذا واجبٌ، لكن نسينا نفوساً جمة ممن حولنا تغرق في المعاصي، وتناسينا ملايين في أودية الكفر غرقى، وبدلاً من أنْ نسمعهم كلام الله أسمعونا الطعن في ديننا.

ولا تزال أمتنا بخير ما اشتعلت بها قناديل القلوب، وأنارت جوانبها المظلمة، واقتبست من دينها وتراثها شعلات الإيمان التي لا تخبو، ولكن حين خمد قبسها وغرقت في المادية، وانتشر بين أهلها تورم الذات وعبادة الحاكم أصبحت جثة هامدة، تتكالب عليها الأمم ولا تبالي

بتاريخها ومجدها، وإذا فقدت الأمة مصدر الخيرية فيها فلا تأمر بمعروفٍ ولا تنه عن منكر رُميت في مزابل الأمم، وحين تربي الأمة شبابها على الليونة والتقليد فكأنها تسمم عقولهم وتسقيهم الهوان عذباً زلالاً، لذا غابَ فتيلُ الحُبِّ، واشتعلَ شررُ الحَربِ، فهذا مُقدسٌ وذاكَ مُدنسٌ، وبين هذا وذاكَ ضاعتْ هيبةُ الأمةِ وانكسرَ إناءُ الهمةِ، واليقين الثابت أنَّ تأثيمَ الآخر ليسَ من شروطِ الإيمانِ، ومن عجز عن إصلاحِ نيته، فليدع نيةَ الآخرين!

وجميعنا في حاجة إلى لباس الدين والأخلاق، ولا تستقم الحياة دونهما، فالدين ينظم علاقة المرء بخالقه وعلاقته بغيره، وعلى الدين مناط سعادة الإنسانية، وكانت رسالة خاتم الأنبياء ﷺ " إنما بُعثت لأتممَ مكارم الأخلاق"، فماذا بقي للأمة حين تتخلى عن دينها وأخلاقها في عاداتها وعباداتها وعقلها الجمعي؟

وللإسلام قناعته الفكرية التي مرجعها العقل، وللإيمان سعادته القلبية ومحلها الفؤاد، لذا فنفسُ المؤمن تُحلق في آفاق الرضا ولو كانت حبيسة الجدران، ويتحلى بالإيجابية مهما قلَّتْ موارده أو جفَّ نبْعُه، وعنده من الفراسة ما يسمح لطاقاته أن تتوالد وفق انسجامٍ أشبه بالآلي؛ أو تناغم أقرب للدفع الذاتي، فشعاره..." وجعلني مباركاً أينما كنت".

والمعتقدات تتحول إلى بذلٍ وعطاءٍ بالإيمان، فهو الخميرة التي تُشحَنُ به طاقته، والفتيلة التي يُضاءُ بها مصباحه، فيمتطي بعير الشكر أو ناقة الصبر؛ غير مبالٍ بدنياه أقبلت أم أدبرت؛ يتساوى ترابُ الأرض عنده وتبرها، وكأنه وُلد من جديد، فيسأل من هو؟ وما غايته من الوجود؟ فيصبح لوجوده غاية ولسعيه هدف، وفي كل حركة من حركاته قصدٌ، وفي كل سكنة من سكناته نية.

ويرحم الله هشام بن عبد الملك حين وصف عمر بن عبد العزيز قائلاً: ما أحسبُ عمر خطا خطوةً قط إلا وله فيها نية، ولذا وفقه الله ليصلح دولة في عامين، وبعضنا يحتاج لأعوامٍ لإصلاح غرفته التي يقطنها، فحين يهب المسلم حياته لخالقه يشعر بلذة الحبِّ والمعية، فالحبُّ ليس شعوراً فقط، لكنه شعورٌ يغذيه فعل الحب، ومن أقبل على الله رأى من إقبال الله عليه عجباً؛ فـ ..... !

(باء)... بين العقل والعاطفة

.....

أكتبُ هواجسَ وأفكاراً تتداعى على خاطري دونَ تنسيقٍ، فقد عشتُ في وطنٍ لا نظام فيه، زحامٌ في كلِّ شيءٍ، فجاجُ ذاتٍ لا تعرفُ الهدوء، ومسارحُ نفسٍ لا تلتمسُ السكينةَ إلا بين حوائطِ المسجدِ، ندخلُه بكلِّ ذنوبِنا بعد جلساتِ القيلِ والقالِ وكأننا تطهرنا واغتسلنا من آثامِنا ببعضِ ركعاتٍ دونَ تمامٍ، وعقب خروجنا نعودُ كما كنا يتامى الفكر؛ نساؤنا لا يُعتقُ منهن إلا القليلُ أمامَ رقِّ التلفاز وما يبثُّه من سمومٍ تقتلُ ملكاتِ الخير وتغتالُ الفطرةَ، تقطعت أواصرُنا وكانت أهم ما يميزنا، فصرنا قوالبَ منفصلة وأشباحاً تسكنَ ذاتَ البيتِ ولا تجانسَ بينها، كلٌّ متقوقع خلفَ جُدُرِ نفسِه يأبى الظهورَ على سجيته، وحين تنقطعُ الأسلاكُ أو يتعطلُ الهاتفُ أو نفقد الشاحنَ يعترينا الهياجُ، وتفضحنا الكهرباء حين تغيب فنتعرف على من يسكن معنا؛ يرحمكَ الله يا أبي، جئتَ دنياكَ ورحلتَ ولم تعرفْ هاتفاً أو تلفازاً، وكانت أقصى أمانيكَ أنْ تنامَ على إذاعةِ القرآنِ الكريم.

ويبدو أنَّ قنوات الحبّ لدينا أصابها العطب إلا من رحم، وعجزنا عن قراءة مشاعر من يعيش معنا، لذا رأينا الزحام عند الطبيب النفسي، وراجت السلعة لدى متخصصي التنمية البشرية، وعند معالجي الجن والأعشاب لا يتوقف سيل القادم، ونثور بالأقوال لا الأفعال، نشكو كثيراً من الظلم وفي أعماقنا خناجر الانتقام، ندعي العدل ونحن أبعد الناس منه وعنه، نلعن فاتل الحبال كلما شُنق أحدنا ونغدق على الشانق، نعتقل الفكر ونطلق سراح الجهل، نحفظ شعر قيس ونتهمه بالجنون، نقهر نساءنا ونتغنى بالمرأة وهذا لعمري هو الوأد المعنوي أو منه قريب، لذا... غابَ فتيلُ الحُبِّ واشتعلَ شررُ الحَربِ، فهذا مُقدسٌ وذاكَ مُدنسٌ، وبين هذا وذاكَ ضاعتْ هيبةُ الأمةِ وانكسرَ إناءُ الهمةِ، وهكذا دخل العقل والعاطفة في مشاحنة لا تنتهي، وخصومة يشتعل أوارها صباح مساء، وصار العاجز عن إصلاح نيته يفتش في نية الآخرين؛ ويكأن تأثيم الآخرِ من شروطِ الإيمانِ! ليتنا نعود إلى فطرة جدودنا، فقد كان لديهم من الذكاء العاطفي (الوصل بين المشاعر والحس الأخلاقي) ما يكفي أبناء الحي، وامتدت جذور الإيثار لديهما لتشمل الغريب، فما بالك بالقريب؟ متى ينتشر فيروس المشاعر الحميدة بيننا؟

وقديما قال أرسطو: " أي شخص يمكن أن يغضب، هذا سهل، ولكن أن تغضب من الشخص المناسب بالقدر المناسب في الوقت المناسب وبالشكل المناسب فهذا ليس سهلاً"، لذا كانت أفضل الوصايا وأوجزها حين قال المصطفى ﷺ لرجل يطلب وصية: لا تغضب، فآليات الذكاء العاطفي وقنوات المشاعر لدينا كلاهما يحتاج إلى تنقية وتهذيب على الدوام، فالعاطفة والمشاعر الإيجابية أشبه بفيروس السعادة سرعان ما تنتشر عدواهما حولنا، ويحدثان تحولاً في البيت والمدرسة والحافلة ومكان العمل، فسبحان من جعل البسمة عبادة وعليها نؤجر، فهي لا تكلفنا شيئاً، ولها مفعول السحر فيمن نعيش معهم.

والثابت أن هذا الجيل فيه من الحدة الكثير، وفيه من الوعي والطموح أكثر، وما بين حدته في التعامل ووعيه وطموحه الذي غالباً يزيد عن إمكاناته ينزع إلى الغضب والعناد والإفراط في العصبية، وصار الصغير غير قابل للاحتواء، وصارت الصغيرة في عالمها المغلق على نفسها، فزاد الاكتئاب وازدحمت العيادات النفسية، وكثر التهور

والعدوانية عن الأجيال السابقة، وكأنه يتناسب طردياً مع كثرة السفر وتعدد أساليب الترف وانفتاح العالم ومن ثم تفشي الأوبئة النفسية، وكذلك القصور في تغذية القلب والروح، فنجد التعليم يعتمد على الحشو والحفظ، وتقيم مخرجاته وفقاً للمجموع الذي يعتمد على التلقين دون فهم، وإن فهم لا يجد البيئة الخصبة والمناسبة لتجسيد هذا الفهم، وأتساءل: كيف نعد الأجيال لمواجهة الحياة؟ وكيف نحقق التوازن النفسي بين العقل والعاطفة؟ وكيف نزيد من معامل الحب وننقي قنوات المشاعر ونزيد من اتساعها؟

والتحدي الذي يواجهه هذا الجيل من أبنائنا ...هل يستطيع أولادنا أن يديروا حياتهم على الوجه الأفضل ويمارسون عواطفهم ومشاعرهم بصورة جيدة تتفق مع الدين وتتمشى مع مقتضيات العصر؟ فعواطفنا يمكن أن تضل بسهولة، وتبتعد بنا عن جادة الشرع، وهذا يحدث في كل مراحل الحياة، لكن معدل زيادته فاق الحد، وبلغ الانفصام النفسي بين الأبناء والأزواج فلا يخلو منه بيت إلا ما ندر، والمشكلة لا تكمن في عواطفنا وممارستها، ولكن أيضا في كيفية ممارستها في الزمانكية والكيفية المناسبة، فما أكثر فقيري العواطف في بيوتهم نجدهم يصبون مشاعرهم صبّاً خارج البيت وعلى غير أولادهم وعلى غير زوجاتهم في علاقات إن لم تكن حراماً فهي قريبة منه، وهذا الانفصام والخلل الذي نعانيه جعل بين عقلنا وقلبنا خصومة، وجعل عواطفنا مشروطة، وجعل بيوتنا أقل البيوت مشاعر، ونسينا وتناسينا ...خيركم خيركم لأهله، ونسينا وتناسينا... عسى أن تحبوا، وعسى أن تكرهوا.

إن العواطف والمشاعر وعلاقات ذوي الفضل ليست مشروطة، فحق الابن على الأسرة أن تقبله على أي نحو جاء، وما استحللنا به فروج غيرنا أولى بنا أن نصفح عنهم ونسامح ونعفو لتدوم المودة والسكن بيننا وبين من نعيش معهم، فللقلب رؤية وهي البصيرة التي يمكنها أن تنفذ إلى جوهر الأشياء، وللعين رؤية تعجز أن تنفذ إلى الدواخل، ومتى رأينا غيرنا بعيوننا رأينا تقلباتهم وركزنا على نقائصهم، لكن حين نرى بقلوبنا نتيقن أن الجوهر ثابت وإن تغير المظهر في عدسة العين.

والإيثار نوع من الحب ويتجلى في الحب الأبوي والإخوة في الدين، فمشاعرنا وعواطفنا تظهر في أبهى صورتها وقت الأزمات، وهي بذلك تنسجم مع الفطرة، وإن كان العقل أحياناً يعارض بعض أفعالنا التي نضحي فيها من أجل من نحب؛ لكن قلوبنا تكون منسجمة وتدلل على أن هذه التضحية هي الحل الوحيد، فمشاعرنا هي التي تقودنا غالباً وقت الملمات، ولا يمكن ترك قراراتنا للعقل وحده في أوقات الخطر، فقد نكمل طريقاً نعرف نهايته تقترب من الصفر، ونقطع درباً طويلاً يكلفنا الكثير نأمل في بصيص أمل رغم الإحباط، كل ذلك وغيره نعتمد على عواطفنا ومشاعرنا، ولا نسمح لعقولنا أن تتدخل إلا قليلا.

وفي العلوم البحتة نهتم بالعقل وحده، وفي العلوم الإنسانية نهتم بالعقل ولا نغفل دور العاطفة، وليس كل ناجح في معمله ينجح في حياته، والعاطفة إن طغت على العقل مثل طوفان الماء متى دخل السفينة سرعان ما يهلكها، وحين نبالغ ونركز على دور العقل تجنح المشاعر ونعجز عن التواصل بالشكل الذي يليق ويرضينا ويرضي من حولنا، هذا على جانب... وعلى الجانب الآخر حين تجتاح العاطفة العقل نتصرف بشكل يفسد حياتنا وحياة من حولنا، فمن الحب ما قتل، ومن التدليل ما أفسد، فلتكن عواطفنا أشبه بقبطان السفينة في مواقف تستدعي العاطفة، ويكون العقل مرشداً حكيماً للارتقاء بحياتنا مع التمسك بقوانين المجتمع والأخلاق.

وحين يعترينا الغضبُ تتدفق الدماء في اليدين، وتزيد نبضات القلب، وتتولد طاقة تكفي النزوع إلى مواقف عدوانية، وفي حالات الخوف تتدفق الدماء في العضلات الهيكلية مثل الساقين مما يسهل على المرء الفرار

وينسحب الدم من الوجه فيبدو بارداً، لذا تكون الاستجابة مثالية للاختباء أو الفرار من الخطر، لكن في حالات السعادة يستبعد العقل أي شعور سلبي، ويكون الجسم في حالة هدوء وسكون تجعله ينقض على ما يقلقه أو يدفعه للاضطراب، لذا نجد في الغضب ارتفاع الأصوات رغم قرب من نحدثه، وفي السعادة يتجلى خفض الصوت مهما بعد من نحاوره؛ فكأن في الغضب تتباعد القلوب فيرتفع الصوت، وفي حالات الفرح تتقارب الأفئدة فنهمس، وتسمو حالات الحب حين ينقطع الكلام ونترك العيون تتحدث، فالحب والمشاعر الرقيقة يستوجبان تحريك العواطف وإيقاظ الغرائز، ويتطلب الإشباع الحسي تسهيل الاتصال والتواصل عبر حالة من الهدوء والرضا التام، لذا يدور الجسم جميعه حول العين التي تفضح سائر الأعضاء، وكأنها تفرز أنزيماً يوحي بالاسترخاء والارتياح، فنجد رفع حاجب العين مثالاً للدهشة وبما يسمح بوصول مزيد من الضوء إلى الشبكية، وأحيانا نغمض عيوننا لنترك لخيالنا أن يغوص فيما وراء المادة، وبشكل يسمح بتصور الحدث بشكل غير محدد، واستقباله بالطريقة المثلى في مخيلاتنا.

وحين يتعرض المرء لخسارة فادحة مثل فقد عزيز أو عارض مؤسف تظهر وظيفة الحزن على محيانا، وهذه الوظيفة وتلك المشاعر الحزينة تساعدنا في التكيف مع هذه الخسارة المؤلمة، فيقل مستوى الطاقة داخلنا، ونفقد الحماس لأغلب الأنشطة الحياتية التي نمارسها، ومتى زاد معامل الحزن واقترب إلى الإحباط يصبح التمثيل الغذائي للجسم مهدداً، ونفقد الرغبة في الطعام، وهذا التقوقع النفسي والعاطفي بقدر آلامه فإنه يمنح الشخص بعض القدرة على احتواء الإحباط واستيعاب عواقب الحدث الجلل، ويطول المكوث داخل المنزل بعيداً عن الناس حيث يشعر ببعض الأمن، ويقتصر تعامله على دائرة الأرحام، ثم يستعيد المرء طاقاته رويداً بعد فترة حزن تزيد أو تنقص حسب الحدث، ثم التخطيط لبدايات جديدة.

بعد قصة حب طويلة في الجامعة، رفضه أهلها حين تقدم لخطبتها، استماتت في الدفاع عنه، فقد كان طالباً مغموراً، لا تبدو عليه آثار التفوق والألمعية، فهو يُصنف من تلك الفئة غير المتفوقة وغير المتعثرة، ينجح بالكاد أحياناً وفي أحسن أحواله يحصل على تقدير جيد، ولم يكن هذا عيبه، لكن أباها وأمها لمحا فيه أن حبه لابنتهما ليس خالصاً، هو يحاول أن يختصر طريقه، فهي تقبل زواجه رغم تدني إمكانياته، يمكن أن يسافر معها حيث يقيم والديها، ستفتح له آفاقاً ستكلفه كثيراً بدونها، لكنها راهنت على فارسها وما يملك من رصيد لديها؛ والحق يقال أنها كانت تملك عقلاً ناضجاً، يملي عليها أنها لابد وأن تبدأ الطريق من أوله، تصارع الحياة معه، تسانده بعملها وعلمها، ولم تقسُ عليه بطلب تعرف أنه لن يستطيعه.

كانت تفتش ليلى في أيامها الخوالي، تستعيد حواره وكلماته وحروفه، تتداعي حبات الدموع على وجنتيها حين تتذكر وعوده ووقوفه معها وبجانبها مهما تقلبت الأيام، ها هي أيامه تقلبت وأيامها انقلبت رأساً على عقب، فبعد عشر سنوات من التحمل والضرب في صخور الأحداث وأمواج الغربة العاتية، ترقى هو في وظائفه وبقيت هي في وظيفتها، تضاعف راتبه وكان راتبها منذ سنوات قليلة ضعف راتبه، كان ذلك يسعدها، لكن يدور همس في جوانحها ... هو يعرف من أين تُؤكل الكتف، وبدا لها أنه وصولي ويتقرب لرئيسه عارضاً طقوس الولاء والطاعة، وسرعان ما تغير وتغيرت معاملته، لم يعد قانعاً بحياته وأولاده، فقد تغير فيه كل شيء، بداية من سيارته وملابسه والمطاعم التي يرتادها، وهي كالدابة تدور في ساقيتها، يخيل لها أنها بعد هذه الدورة ستستريح، وسرعان ما تمرد عليها وعلى شكلها وجسمها بعد أن زادت قليلاً، رغم أنها لا تكل ولا تمل بين عملها وأولادها ودراستهم.

كانت تدافع عن نفسها دفاعاً هيناً، لم يخطر ببالها أن قلبه تغير ثم تغير لسانه، ولم يدر في خلدها أنه سيتعرف يوماً على غيرها، وهي التي عادت أهلها بسببه، تتحمل وتحمل وتعمل وتربي الأولاد كي ينجحا سويّاً، وبدأ يتغيب عن البيت وبحجج واهية لا تُصدق، ثم كانت الطامة ... لقد رد عليها ببرود حين سألته أين كنت أمس؟ أجابها: كنت عند زوجتي الثانية؛ لم تستطع أن تجيب أو تسأل أو تناقش، تركته ورمت بجسدها المتعب بين أولادها دون أن تتفوه بكلمة، اصطنعت نوماً غير مأمول، غابت عن عملها، لم يذهب أبناؤها لمدرستهم على غير العادة، كل ما قالته لأولادها أنها متعبة؛ وما بين التغيب عن البيت والتخلي عن المسؤولية واختلاق المشاكل والشجار من الزوج، لم تتفوه إلا بكلمة واحدة... طلقني.

وبعد أحداث مؤلمة والمثول أمام المحاكم، وأنكرت الزوجة أنه أصابها ذات مرة في رأسها، فهي رغم تغير مشاعرها تجاهه لم تنس لحظة أنه أبو صغارها، ولم يزده كرمها معه إلا نذالة وخسة، فكشف عن وجهه القبيح، فترك أولاده الثلاثة، ابنته التي على وشك المراهقة وابنه في عامه العاشر وصغيرهم في صفه الأول الدراسي، تركهم وأمهم في غربتهم وتزوج بشقراء عربية لا تتجاوز العشرين وقد تجاوز الأربعين، يرى أولاده كل جمعة وليتهم لا يرونه، فغالب الجمع يذهب الأولاد لأبيهم لتتحكم فيهم زوجته، فيعودون بأذيال الخيبة، ومن شدة تعسفه يصرف تذاكر الأولاد كل عام من وظيفته ويذهب بزوجته الجديدة وابنتها ليستمتع بالمصايف دون أدنى اهتمام بأبنائه من زوجته الأولى.

جلست إلى صديقتها الوحيدة والمقربة ذات ليلة وقالت: كان طلاقنا عسيراً، أشبة بزواجنا الأكثر عسرة، أحب زوجته التي في عمر ابنته أو هكذا زعم، كانت سكرتيرته الجديدة، وقرر أن يتركني وأبنائي لأجلها، والحقيقة أنه تركني لأنه يشعر دائماً أننا وقفنا بجانبه، وتقبلناه بضعفه وقلة ذات يده، لم نعيره وكنا أكرم مما تخيل، فأراد أن يعاقبنا على وفائنا وكرمنا معه، نعم مرت عليَّ شهور عصيبة من هول الصدمة، فلو جل رجال الأرض تركوا زوجاتهم ما ظننت هذا يفعلها، لم أتصارع معه على المنزل وإيجار الشقة وحضانة الأولاد، فمثله لا يريد تحمل مسؤولية صغار بعد طلاق، وما تحملها ذات يوم قبل الطلاق، والآن بعد مرور خمسة أعوام على هذا الجرح الغائر أشعر أني تحسنت كثيراً رغم ثقل الحمل والغربة على كاهلي، وأحياناً أشعر أني سعيدة باعتمادي على نفسي ونفسي فقط بعد خالقي، ثم تنهدت تنهيدة عميقة وقالت: لم أعد أفكر فيه، ولا أعبأ أو أهتم بأخباره، ثم اغرورقت عيناها بدموع أرادت أن تمنعها؛ لكنها أبت إلا أن تسقط على وجنتيها، فمسحتها خشية أن تُرى، وتجاهلت صديقتها النظر نحوها واصطنعت اهتماماً بشيء، ثم غادرت كي تعد كوباً من عصير، تركتها لتفضفض عن نفسها ويعود إليها استقرارها.

عادت إليها بالليمون... تجرعت منه رشفاتٍ وقد سكنت دموعها، وذهب انتفاخ عيناها، وقطعت صديقة عمرها حبل السكون قائلة: اعلمي يا ليلى أنك أحب إليَّ من نفسي، وعشت تجربتك وتألمت لألمك، وكان طلاقك صادماً وقاسياً عليَّ لدرجة أني بدأت أتشكك فيما كنت أظنه يقيناً سابقاً، وصرت أحذر حتى أبنائي، وصار سقف تطلعاتي مع من أفني حياتي لأجلهم بسيطاً، فقد تعلمت من تجربتك فوق ما تظنين، والثابت عندي أني كنتُ أتوقع الانهيار سيضربك في مقتل، أو تنتابك كآبة لا أمل من الفكاك منها، أو يسيطر عليك الإحباط وعلى أولادك، وأحمد الله أنك تعافيت من آثار الصدمة أو بعض عواقبها، وهذا لطف الله بكم، لكن اللحظة التي دمعت فيها عينك آنفاً يمكن أن تمر عليك وعلى غيرك بسهولة، لكنها ستقف عندي وقوف السد المنيع، وهي الصخرة التي لا تنزاح عن باب كهفك مدى الأيام.

كان كلامك منسجماً ومتسقاً مع ليلى التي أعرفها من زمن، لكن حين سقطت دمعاتك المسجونة أدركتُ أن التناقض بين كلامك وبين داخلك واضحٌ، إن دموعك القليلة هي الهزة العاطفية التي عجزتِ عن سجنها يا ليلى، تعافيتِ بفضل عقلك وثقافتك وتربيتك العملية لكن...عقلنا العاطفي يا ليلى لا سلطان عليه، وفارق بين المنطق والعاطفة، فيمكن أن تسير بنا الحياة عادية تارة ومتقلبة أخرى بفضل عقلنا المنطقي أو منطقنا المتعقل، لكن يبقى الحب دفيناً مهما تجرعنا صد وهجر وخيانة الحبيب، نعم قد لا نشتاق له نفس اشتياقنا من قبل، ونتوجع لغيابه وإن قل وجعة، إن مكان الجرح يا ليلى نظل نتحسسه وإن برأ، ونتذكر آلامه إذا ما رأينا جرحاً يشبهه، ودموعك الآن يعني أن بقايا جيوب قلبك بها آثار عواطفك.

أنت تعيشين بعقلك الواعي يا ليلى، وهو ما يشحذ همتك كل صباح، أدرك أن الليل يأتي عليك وقد أنهكك التعب، وحل ببدنك واحتوتك هموم الحياة، وتنامين وفي عقلك الباطن أنك منكسرة ولن تستطيعي الاستمرار، ولن تقوي على ذهابك للعمل، لكن في الصباح ومجرد أن تستيقظي تشعرين بقوة وإرادة غير التي تنامين بها، فقد تقضي الليل أو أغلبه بعقلك العاطفي، وسرعان ما تفيقي في الصباح على عقلك الواعي أو منطقك العاقل، إن أغلبنا يا ليلى يعيش النهار بمنطقه أو عقله الواعي الذي يستدعي بعض الإرادة أو القوة على مواجهة أعاصير الحياة وقسوة المحيطين، ونقضي الليل بعقلنا العاطفي الذي يفرح أو يتألم وننام به وعليه، وكأننا نستدعي ذكرياتنا فنمارس مشاعرنا المكبوتة أثناء النوم، نمارس عملنا بالنهار بالتفكير والإدراك، ونقبل على معارفنا وعلومنا بعقلنا الواعي الذي يتواءم مع المنطق، وفي الليل ننحي هذا العقل جانباً ونستدعي العقل غير المنطقي أو عقلنا العاطفي. وهذه الثنائية في فن التعايش لا يكاد يخلو منها شخص، فما بين القلب (العقل العاطفي) والمنطق(العقل الواعي) نجد قناعات الناس تتفق أو تختلف أو تميل مع غيرها حين يتقارب العقلان، وهناك درجة ما داخل كل شخص توضح ميل أو تأثر أو تحكم أو نسبه التحكم العاطفي أو العقلي على العقل، فحين تقوى المشاعر يتحكم العقل العاطفي وتقل نسبه تحكم العقل المنطقي أو الواعي، والعكس بالعكس؛ وكلا العقلين يعملان داخلنا بتنسيق أشبه بالذاتي، بحيث يحدث التوازن بينهما وفق موروثات الإنسان وثقافته وسلوكه واستعداده أيضاً، ومن جميل لطف الله بنا أن منحنا قدراً من المشاعر ربما أضعاف أضعاف ما منحنا من تعقل، لذا يبدو حزننا على خسارتنا العاطفية ماثلة أمامنا طول الحياة، وقد نعوض خسارتنا المادية أو لا نعوضها، لكن سرعان ما ننساها أو نتناساها، ومجرد خسارتنا المعنوية أو جرح من حبيب يصيبنا بالتوتر المستمر أو على الأقل حين نتذكره، إنها سطوة المشاعر على عقلنا المفكر، والصراع الدائم بين العقل والعاطفة.

إن وجودنا وقيمته يا ليلى مستمد من قيمة حياتنا العاطفية، ومتى طرحنا مشاعرنا جانباً فهذا يعني أننا نقتل أجمل ما فينا، نصير كأشباح أو بقايا إنسان، وقد نكون أشبه بالقتلة، فحين نخنق أو تُخنق وظيفة العاطفة داخلنا فهذا يعني أننا قتلنا مشاعر السعادة والرغبة الجسدية، وهذه المشاعر هي التي تؤدي وتغذي العاطفة الحسية أو يعمل من خلالها وينمو عقلنا العاطفي، وهذا العقل العاطفي الذي أحيانا نتجاهله أو لا نعطيه أهميته يلعب دوراً بالغ الأثر في جهازنا العصبي وبنائه، وهذا الجهاز له قوة هائلة للتأثير على بقية الوظائف المرتبطة بالعقل، وفارق بين أن نعمل عملنا بحب، وأن نعمله بغير حب أو من باب أداء الواجب، وتختلف الحياة من وجهة نظر الشخص المفكر عن الحياة عند الشخص العاطفي من حيث الرؤية والتأثير والتأثر، وحتى تختلف رؤيتهما لاستقبال ذات الحدث، والسبب غالباً نسبه عمل العقلين داخل كل منهما؛ وكلُّ زوجٍ يقسو على زوجته لغير رضا الله سقط عمداً من

الإنسانية... ويتحول دون أن يدري إلى طاغية، وكلّ أبٍ يتخذ من العنفِ والضرب وسائلَ لتربية صغاره هوى سهواً من قائمة الرجال ... ويتحول دون شعور إلى فرعون من فراعينَ كُثر، فليقسُ كلُّ زوجٍ على زوجته بالمودة ويصطبر عليها، وليضرب كلُّ والدٍ أبناءه بالحبِّ، فما أجمل التربية بالحبِّ والاحتواء، وما أجمل التوازن بين العقل والعاطفة!

(تاء) ... توشكُ ... وها قد أوشكت!

من يتأملُ حالَ أمتنا العربية والإسلامية أبان القرن الماضي وبعد سقوط الخلافة يجد عجباً، فقد احتل الغرب القميء أمصارنا، وعربد في كل الأقطار، وقسم الحدود وباعد بين الأهل والجيران؟ وأججَّ النزعات العرقية والمذهبية والطائفية مما أثر بالسلب على الانتماء لروح الأمة وحبنا لأوطاننا، فهو وإنْ حلَّ بأرضٍ، فصعْبٌ خروجه، وإن خرج وطد من أبناء البلد من يحمي مصالحه، فسياسة الاحتلال لا تدخل في شيء إلا دخول الإبرة بخيطها في الثوب، إن خرجتْ هي تركت الخيط وقد جُمِعَ وشُدَّ. لذا فلا عجباً أن ترى في بلادنا المسكينة الأجانبَ، وأموالَ الأجانبِ وغطرسةَ الأجانب، وعربدةَ الأجانب، وليس هذا لأن فيها الاحتلال، بل لأن فيها ضعفها، وضعف أهلها وغفلتهم، ويفسِّر حديثُ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واقعنا المزري فيقول:"إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى"[1]، فتضمن الحديثُ مواطن الخطر الثلاث التي انزلق فيها الكثير إلا من رحم وهي: (البطن والفرج والهوى). فكم صرفت الشهواتُ الحيوانية أناساً عن القيم الرفيعة، وجعلتهم يحيون حياة السوائم " إن هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا"(الفرقان:44)، وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ :"إياكم والبِطْنَة في الطعام والشراب، فإنها مُفْسِدةٌ للجسد، مُورثةٌ للسقم، مُكْسلةٌ عن الصلاة"، ناهيك عن شهواتِ العقل في الارتيابِ والشكِّ في تعاليم الإسلام لدى من لم ينل حظاً وفيراً من التعليم. وهذا رسولنا ـ ﷺ ـ يقول: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد: سلط الله عليكم ذلّاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)"[2]، وفي الحديث: (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)، والأمة التي تتغلغل في قلبها المروءة، وتمتلئ جوانحها بالتمسك بثوابت هذا الدين، تجعل إحقاق الحقّ والصدع به فوق كل اعتبار، (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) ولنا أن نتأمل في ذلك ما تقرر في قول النبي ﷺ مما جاء في مراسيل الحسن: (لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يمالئ قراؤها أمراءها، وما لم يُزكِ صلحاؤها فجارها، وما لم يُهن أشرارها خيارها، فإذا هم فعلوا ذلك رفع الله يده

[1] ـ أخرجه أحمد في المسند رقم (19787) ـ420 / 4 (19788) والطبراني في الصغير رقم 309 / 1 (511)

[2] ـ (رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (423))

عنهم، ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب، ثم ضربهم الله بالفاقة والفقر)، ومن يستطيع اليوم أن ينكر واقع المسلمين الذي ينبأ بما ذكره عمر بن الخطاب فيما رواه عنه الإمام أحمد: (توشك القرى أن تخرب وهي عامرة، قيل وكيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجارها أبرارها وساد القبيلة منافقوها)، وقول الرسول ﷺ فيما ذكره الأوزاعي عن حسان بن عطية: (سيظهر شرار أمتي على خيارها، حتى يستخفي المؤمن فيها كما يستخفي المنافق فينا اليوم)؟. وقيل: "إن الشعوبَ الإسلامية والبلاد العربية ـ مع الأسف ـ ضعيفةُ الوعي إذا تحرجنا أن نقول: فاقدة الوعي، فهي لا تعرف صديقها من عدوها، ولا تزال تعاملهما سواء، أو تعامل العدو أحسن ما تعامل الصديق الناصح، وقد يكون الصديق في تعبٍ وجهادٍ معها طول حياته بخلاف العدو، ولا تزال تُلدغ بجُحر واحدٍ ألف مرة ولا تعتبر بالحوادث والتجارب"[3]، وقال الإمام أحمد : قال موسى: يارب أنت في السماء ونحن في الأرض ، فما علامة غضبك من رضاك ؟ قال : اذا استعملتُ عليكم خياركم ، فهو علامة رضائي عنكم ، واذا استعملتُ عليكم شراركم فهو علامة سخطي عليكم. وعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَتَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا ، قُلْنَا : مِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : لا ، أَنْتُم يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، يَنْزَعُ اللَّهُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ ، قِيلَ : وَمَا الْوَهَنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ "، ففي هذا الحديث تحذير من" حب الدنيا وكراهية الموت "، ويا له من هدف عظيم لو أن المسلمين تنبهوا له وعملوا بمقتضاه لصاروا سادة الدنيا ، ولما رفرفت على أرضهم للكفر رايةٌ، وحتى ينجلي هذا الليل البهيم.. فلابد من الأخذ بأسباب النجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة ، فنعود كما كان أسلافنا، نحبُّ الموت كما يحبُّ أعداؤنا الحياة، فما حذرنا منه نبينا عليه الصلاة والسلام وقعنا فيه، وصارت توشك... أوشكت وقربت وحانت، فها هي فرق الكفر وأمم الضلالة تجتمع علينا، ويدعون بعضهم إلى التداعي والاجتماع لقتلنا وسلب مقدرات أوطاننا، وهم يشبهون الفئة الآكلة يتناولون قصعتهم صفوا من غير مانع يمنعهم، أو رادٍ يردهم، وليس الأمر عن قلة منا وأكثرية منهم، ولكن نحن كُثُرٌ كغثاء السيل، والغثاء هو ما يحمله السيل من أوساخ وزبد، وهو محمول بالماء لا إرادة فيه ولا قوة، يوجهه حيث صار ويهوي به حيث هبط، ونستحق هذا الوصف لندرة شجاعتنا، ودناءة قدرنا، وتخلينا عن فريضة الجهاد، وحبنا للدنيا وكراهيتنا للموت، فحين نعطي الدنية في الدين، يقذف الله الوهن في قلوبنا، فهذا بتلك وكأنهما متلازمان، أو وجهان لعملة واحدة، ومن يتأمل الحديث ويسقطه على واقع المسلمين يجد الصورة الحسية الحركية وكأنه يعيشها، فالأعداء(الآكلة) جياع ولئام وشرهون، ويبحثون عن وليمة سهلة يفترسونها بلا مقاومة، ونجد من بني جلدتنا من يدعوهم.. أن هلموا إلى القصعة المهيئة والمعدة

[3] ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي ص254

سلفا وتنتظر الأيدي والأفواه التي يسيل لعابها، ويخبر منطقها إلى جوع دموي وبغض شديد، وما بين بدر حيث كان المسلمون قلة، وفي الأحزاب اجتمع عليهم الجموع، لكن خابت كل حيل الكافرين، فليست القيمة في الوزن العددي والقلة والكثرة، ولكن حبَّ المسلمين الأوائل للموت كان يزرع المهابة في قلوب أعدائهم وهم الحريصون على الحياة وأي حياة مهما كانت مهانة !! فحين يتغلغل حبُّ الدنيا في القلوب، وحين نؤثر الفانية على الباقية، وحين نولي للدين ظهورنا ونفتح صدورنا للدنيا، وحين تتحكم المصالح والأهواء وحب السلطة والرياسة، وحين لا نأمر بالمنكر وننهى عن المعروف، وحين نرى الشحَّ مطاعا، وإعجابَ كلَّ ذي رأيٍ برأيه، ها هنا يصيبنا الوهن، والوهن كلمة جامعة... إنه وهنٌ قلبي، ووهنٌ نفسي، ووهن فكري ،ووهنٌ عقائدي تسربَ إليكم لتشرُّبَ قلوبكم حبَّ الدنيا ، فتعلقت بها كتعلق الغريق بقشة يظن فيها النجاة، فالعدو يمتلك الدنيا ورفاهيتها، ويتحكم بها فينا كما يريد، ويلوح بها أمام أعيننا كما يلوح الرجل لكلبِهِ بقطعة لحم، يزينها له ليستعبده ، فيلهث الكلب ويسيل لعابه، ويرضى لنفسه أن يكون منقاداً لسيده مقابل أن يعطيه الطعام ، كذلك الذي أُشرب قلبه حب الدنيا واستمسكت نفسه بها وظن أن السعادة فيها ، أخذ يخاف من زوالها من يديه فأتقن سبب تحصيلها.

إنني لا أتكلم بلهجة اليائس من رحمة الله، ولكن أنبه لعلي أجد من يسمع العلاج من هدي النبوة ، فالعلاج في الحديث أن ننزع حب الدنيا من قلوبنا ، وأن نتذاكر الموت فيما بيننا، وأن نملك مفاصل القوة وأسبابها، وأولها كراهية الدنيا وحب الموت، ولا يظنن ظانٌ أن المقصود بكراهية الدنيا تركها والإعراض عنها، بل ترك حبها والتعلق فيها، وأن تكون بأيدينا لا في قلوبنا ، وأنا على يقين أن الإسلام سيبلغ ما بلغته الشمس، وأن راية الإسلام سترفع في كل مكان على وجه الأرض، ولعل ما يتردد على ألسنة الكثيرين لماذا حال الأمة هكذا؟ ولماذا يزداد الأمر سوءً، وتتعالى هجمات الأعداء علينا؟ ولماذا ندعو ولا يُستجاب لنا؟ وما أهمية العقوبات المتوالية على الأمة؟ ربما تكمن هذه العقوبات أنها صور من عتاب الله لأمته، وإقرار منه أنها تخلت عن رسالتها، وتخلت عن موقعها الريادي، وقصرت في حمل أمانتها، وقد تكون وسائل لاستنهاض الهمم، والعودة إلى الرشد من جديد. فلقد صار الفتقُ صعبٌ رتقه، وبعدت الشقة بين الماضي والحاضر، ونخشى ألا نجد مستقبلاً يشبه حتى حاضرنا الأليم! فعلى الجميع أن يلتمس تقويم ما يعتدل، وتبصير من يفهم. ولابد من عودة الأمة لوعيها عبر التغيير المنشود، والذي يستوجب التربية على مستوى العقل والنفس والروح والجسد، تربية يكون فيها الولاء لله وحده، ومن خلاله تنضبط كل الانتماءات والعواطف، تربية تُبنى على المعايشة والفهم والإخلاص والصبر، تربية تنهض بركني الأمة (الدين واللغة) والاعتزاز بهما والانتماء إليهما، فلا نهضة بالشرق دونهما. فمن خصائص هذا الدين أنه صلب فيما لابد للنفس الإنسانية منه إذا ابتغت الكمال، وهو في ذات الوقت يتمتع بالمرونة والتعايش فيما لابد منه من أحوال ومستجدات الأزمنة على اختلافها، وإذا نهضت أمتنا بدينها الذي يتمتع بأخلاقه الكريمة.. نهض الجميع من أهل الوطن والأمة على اختلاف مللهم

وطوائفهم، والله ولي ذلك والقادر عليه.

(ثاء) ... ثورة يناير (في 2011/2/13 مع بعض الإضافات)

في ميدان التحرير... تعالتْ صيحاتُ المظلومين، وحَّدهم القهر، وقادتهم المعاناة، ومِنْ بعضِهم استمدوا الإرادة واستدانوا القوة، فكان المشهدُ مهيباً، رأيناهم يتحررون من أغلالهم، ويحطِّمون أبوابَ القُصور الموصدة، والتي زعموا أنها غير قابلة للتحطيم،كتبَ الشبابُ بدمائهم "ارحلْ "، وطوائفُ الشعبِ خرجتْ من مناجم الغضب لتزلزلَ الأرضَ وتعلنَ أنه: لا يرضخُ الطُّغاةُ لواقعِ الحياةِ إلَّا إذا تحطَّمتْ عروشُهم، أو بعد فوات الأوان.

فقد خلقَ الله البشرَ في الحقوقِ والواجباتِ سواسية، لكن فراعنة الظلم وزبانيته أبوْا ذلك، كانتْ شعاراتُ المساكينِ القناعةُ، ولقمة العيش الحلال، جدرانَ بسيطة تحمي البدن من قسوة الطبيعة، الأمن علي النفس والعرض، وامشِ يا ابني جنب الحيط، وهذا هو الحد الأدنى لكلِّ أدميٍّ يدبُّ علي الأرض، وكانتْ شعاراتُ الأقوياءِ الجشع والبطر ونشر الفساد والإفساد، رأيناهم يعيثون في الأرض ويتيهون بالإفك، ويختالون بالتزوير، ومن كثرة اعتيادهم عليه صاروا يصدقونه، يرهبون بني جلدتهم، كأن بقاءهم يستدعي سحق الآخرين، ويوجهون لبني وطنهم رصاصاتِهم بدمٍ بارد، وتحنو أيديهم على عدوهم، ويبذلون في رضاه الغالي والنفيس.

أيُّ جورٍ هذا ! وأيُّ عدلٍ أعرج! وبأي منطلق يخاطبون شعباً سقوه الذلَّ ألوانا! تعصرنتْ تِجارةُ الرَّقيقِ، فرأونا كالعبيد أو أدنى، وتحضَّرتْ أساليب القهر والقمع وتمرسوا فيها لتطول العرض والشرف، نعم...قد نعاني من شظف العيش فنصبر، قد يسرقون أحلامنا فنحْلُمُ، قد يبددون الثروات فلا نبالي، لكنَّ القسوةَ كلَّ القسوة في تكميم الأفواه ووأد الحريات، شعور مهين وبالغ في الإهانة حين ينتابني الإحساس أني أحيا في بلدي غريب، ليس لي حق الاعتراض، أو حتى الشكوى والتظاهر، ووصل القهر منتهاه حتى دخل بيوت الله ومساجد

الله فهذا مغلق لدواعي أمنية، وذاك يُحرق لدواعي سبئية، ولا يُقال علي المنبر ما يُعارضُ النظام، ولا يصعد درجاته إلا من حظي برضا أمن الدولة، ورأينا عاملَ المسجد ينهي ويأمر ويؤذن ويقيم الصلاة ويؤم الناسَ، ولا أحدٌ يعترض، ولا نغير إلا بأضعف الإيمان، فكأنه مخولٌ من قِبل الله ليرعي بيته، أو من قبل أمن الدولة ونظامها ويراقبنا، فشكوى منه بسيطة لا تعرف أمك أين أنت؟ علي وجه الأرض تقطن أم في باطنها؟.

كنا نسمع عن أيام الرقِّ والإماءِ في الجاهلية الأولي، وحارب الإسلام العبودية وكثرتْ المخارج للتخلص منها، لنستيقظَ علي رقٍّ متحضر وسبيٍّ متعصرن وبأساليبَ ممدرنة، ونسوا أنه: لا فرقَ بين رقيقٍ أسودٍ ورقيقٍ أبيضٍ، فالرِّقُّ هوَ الرِّقُّ، ومنتهى أمل العبد أن يتخلص مما يعاني، وأنه لابد من يوم فيه يثور، ويحطم الأصنامَ التي عذبتْ، وسلبتْ منه حياته وآدميته، فقد حرَّمَ اللهُ الرِّقَّ في كُتبهِ وأحلَّ السفهاءُ من الحكام والأنظمة العفنة والانقلابيين رقَّ النِّفوسِ والعقولِ والقلوبِ والفكر فتبّاً لهم.

فليعلم كلُّ حاكمٍ أن مآله لله، وهو عن شعبه محاسب وأنه:لم ولن ولا تتحقَّقُ الإنسانيةُ كاملةً ونحن مازلنا نؤمنُ بعرقٍ ولونٍ ونستهينُ بالنَّفسِ البشريةِ وقدسيتها وحقوقها كاملة، فقد كفلَ الله حرية العقيدةِ والعيش للجميع في إطار تشريعاتٍ وأعراف وقوانين تصون المجتمع كافة، ولا تكتملُ إنسانيتنا ولا يعلو شأننا ونحن يحركنا حبُّ الهوى لاستعبادِ الضُّعفاء، فلا يجب أن تستهين بنفسٍ بشريةٍ إذا سكنتْ جسداً هزيلاً أو جائعاً، ومن تعصَّبَ لعرقٍ أو لونٍ أو سلطة أو منصب أو جاهٍ فقد اقتلعَ من بواعث نفسهِ رياحينَ الشَّفقةِ ونوافذ الرَّحمة. فالتَّعصُّبُ والأنا والمنصب وحوشٌ مُفترسة، تدفعُ بصاحبِها في الغاباتِ ليتربَّصَ بفرائسَ ضعيفةٍ

، فـ إياك ثم إياك ألا تفهم طبيعة شعب يعيش هادئاً، ويفيضُ ليونة كماء النيل، ويحارب قسوة حكامه وشظف العيش ببعض النكات أو التهكم أو السخرية، لكنه حين يغضبُ يدبُّ كالفيلة، ويزأر كالأسود ولا يُوقف مدَّه وزحفه شيءٌ.

ويا من بكرسيه التصق وطاب به المقام لعقود، ويا من يعيشُ حياته وفق أضغاث أحلام نفثها الشيطانُ في روعه فصدقها، ويا من تسلط عليه حقده وبغضه لكلِّ ما هو إسلامي، ويا من تستجدي عطف من لا يرضى من أولاد القردة والخنازير، ويا من تورِّثون الملك وتظنون أنفسكم ظلَّ الإله في الأرض... جميعكم بقصدٍ أو بلا وعيٍ ضاعَ في متاهاتِ الكراهيةِ، وفي

سراديب التوريثِ حلم، وتمنى أن يخلق جيلاً سياسياً مقزَّماً يقود ويتوارث عبر أحفاده دفة حكم البلاد لعصور قادمة، فأقول لكم: تبّاً لكم وفي مزبلة التاريخ غير مأسوفٍ عليكم، ولتكونوا لمن بعدكم عبرة، ومن غدرَ بشعبه وحرمه أبسط حقوقه ما كان ليأمن أن يدبَّ السوس وينخر في كرسيه، فويل لكَ لأنك تشوه جمالَ الإنسانية، ومن يستشعرُ بالمنصب والمال أنه قد قوي، فإنه يُقوّي في نفسهِ الغلبةَ والتَّعالي علي النَّاسِ، وهو بدونهم لا يساوي شيئاً، ويقرر قانون الغابة والبقاء للأقوى، وهناك دائما من هو أقوى منه وأعز ، فبدلاً من أن يشرّعَ نوافذَ عقلهِ لأفكارِ الأممِ لكي يُحصنَ شعبه بالوعيِ والمعرفةِ، يحاور ويستمع ويناظر ويُقنِعُ ويَقتنعُ بالحجة ولديه أهل الرأي والمشورة، رأيناه يضيع التعليم ويرقع في المناهج لترضي عنه أقزام الأمم ، ورأينا مَن ولَّاهم أمرنا يتاجرون بأمراض الناس ويستثمرونها فتبّاً لكم.

أيها الحكام: من تحصن بالمعرفةِ والحكمة والتعقل وأهل الرأي والمشورة سبرَ أغوارَ الحقيقةِ، ومن نهض بشعبه يوقن أن تعدُّدَ الثَّقافاتِ يزيدُ من المعارفِ والوعي، وحين تتخلَّصون من غرورِ المنصب والعِرقِ والدِّينِ واللونِ فقد حقَّقتُمُ الإنسانيةَ في أبهى صورها، فإن الإنسانية من المستكبرين تخجل، ومن الفراعنة تهزأ، وشريعةُ الإنسانية التي رسمها خالقها أشرفُ وأفضل الشَّرائعِ.

فإياكم والجهل! فالجاهِلُ من ينشرُ غسيلَ شريعتهِ ودينهِ علي شرفاتِ تعصبهِ وأنانيته لكرسيه، ولا كرسي دام ولا منصب ولا جاه، واسألوا التاريخ عن قارون وهامان والملوك والأباطرة، إن التاريخ والماضي هو بمثابة إفساح الحياة لأنبياء وصالحين وقادة لأن يعيشوا بيننا، يصوبون ويصححون لنا ما اعوج، والحاكمُ الطاغيةُ في دولةٍ ضعيفةٍ جاهلةٍ يظنُّ نفسه المشيئة المطلقة المنقذة التي لا تُخطئ، فيفسد ويظن فساده إصلاحاً فنصفق له، حماقته لدي شعبه منتهي الحكمةِ فنرددها كببغاءَ دون فهمٍ، شعوذته ضربٌ من ضروب النبوة التي يُوحى إليه بها؛ وصلاح الجميع ... أن يكون في الأمةِ عقلها المصوب وقانونها الرادع الذي لا يحابي أحداً ويستوي عنده الوزير والغفير.

والإنسانيةُ دينُ الحياة البشرية التي أرادها الله، ومن تركَ المبادئ الصحيحةَ ابتعدَ عن اللهِ، وضلَّ وكفرَ من نظرَ لدينِ اللهِ ولمن يدينون به نظرةَ كُرهٍ وعدمَ مبالاةٍ، بل سقطَ من الإنسانية من حملَ في قلبهِ حِقداً على فئةٍ من البشرِ، فها نحن نرى قُضاةً ترتسمُ على وجوههم ملامحُ

الغضبِ يحكمونَ بأقسى العُقوباتِ، فتبّاً لهم ولمن عينهم بواسطة أو رِشوة، ونرى شيوخاً وعمائمَ أخرستْ المناصبُ أفواههم، فأطعمتموها الكراسي وبعض الدنانير، وصارت العمامة والجبة والقفطان علامات التخلف وعدم الحداثة والرجعية، وقد كانت قبلكم قبسات وفيوضات من النبوة تجسد لنا الدين واقعا مشهودا.

ورأينا من وقفَ وحيداً في قفصِ الاتهامِ لا يتقدمُ من يترافعُ في قضيتهِ، ومن الشباب الآمن النقي من اتُّهِمَ بالكفرِ والإلحادِ والزندقة أنَزلتم بهِ أقسي العقوباتِ، ناهيك عن بنات في عمر الزهور يقطنون السجون مع المجرمات وفي دور الأحداث لمجرد رفع شارة أو حمل بالونة أو مسطرة أو على أقصى تقدير نددت بالظلم، أيُّ قضاء هذا ومن أين جاء؟ فتبّاً لمثل هذا قضاء؛ وتأكدوا أنكم أيها الحكام في انتظار عدالة السماء لتقتص منكم، فكم من دعوة مظلوم معلقة في السماء توشك أن تلتهم عروشكم، وكم من دمعات ودعوات يتامى ستحيق بكم، وكم من أم ثكلى استجاب القدر لندائها وكم وكم وكم......

وأنت ...أيها الشعب المغبون حقه أفقْ واعلم أنه: عندما يتقاسمُ الناسُ الله يسود العدل، وتتعددُ الأديانُ وتتشعبُ الشرائعُ فتلتقي ومن ثم ترتقي، فالحقيقةُ أعظمُ من أن يمتلكها أحدٌ وحدهُ، الحقيقةُ منارةُ هداية بها يهتدي من سلكَ الدربَ إلى ملكوتِ اللهِ، فقُدرةُ اللهِ في الأرضِ تتجلي قبلَ السَّماءِ، ونورُ اللهِ يُبدِّد ظُلماتِ النفوسِ ويُنيرها بفيض الإيمانِ.

ولشباب الثورة وجيل رابعة المنشود أقول: التّعصُّبُ يُبعِدُ عن لُبابِ الدينِ، وسعة الأفق تجعل القلب يسع الجميع، فثقف نفسك بالعلم والدين ولا تتعلق بالقشور، فمن تعلَّقَ بالقشورِ خسِرَ الحقيقةَ، سامح واغفر لمن أساء إليك ولا تدع رغبة الانتقام تنمو داخلك، فلا مرضَ كالحقدِ والكراهيةِ والحسدِ، ولا نارَ كالانفعال والعجلة والغضبِ، ولا سعادةَ أسمي من السكينةِ وهدوءِ النفسِ، ومن تحررَ من الكراهيةِ والحقدِ والحسدِ ولجَ دُروبَ الإيمانِ باطمئنانٍ، فسُبحانَ من دفعَ الكونَ في مساراتٍ مُنتظمةٍ لتكوينِ الحياةِ، سُبحانَ الخالقِ المبدعِ من زرعَ الروحَ في الجسدِ، فقدرة الله تتجلى في إقبالكم علي الحياة، كما تتجلى في نسائمِ الصيفِ وفي عواصفِ الشتاءِ، فاجتمعوا تتضعاف قوتكم مهما كانت بسيطة، وتوحدوا على غاية نبيلة، وتمسكوا بوسائلكم النبيلة، فأنتم بعض أسباب الله لخلق آفاق جديدة لثورة إسلامية تسد الأفق بفضل الله، وأراها قريبة، فلا تضيعوا شرف وأجر الانتماء إليها.

واعلموا يا شباب في (رابعة النهار) أنه: تجسدتْ عظمة اللهِ عندَ كُلِ ولادةٍ وعندَ كُلِّ موتٍ، وعند كل جيل يتمنى التغيير، فأنتم شرارة البدء، وقوة الدفع، والمستقبل لكم وإنا راحلون، اجعلوا الله وليكم ومعينكم، اللهُ هوَ قوّةُ الحقِ ودافعُ الخيرِ ونورُ الجمالِ، اللهُ هوَ موقد الحياةِ في أجسادِ المخلوقاتِ، والفِكرُ الإنسانيُّ السليمُ لا يُنشِدُ إلا ترانيمَ الحقِّ والخير والجمال؛ فتلتقي قوافلُ الحقِّ علي اختلاف مشاربها في ديارِ الحقيقةِ، لتشرب من نهر الإنسانية ماء طهورا. بحبل الله اعتصموا، وبالدين تمسكوا، فالدينُ الحقُّ هوَ كشفُ الحياةِ المقدسةِ وتحقيقها في مساراتِ الكون، الدينُ القويمُ يبني صروحَ سلامٍ وحُريةٍ في النفوسِ البشريةِ المهددةِ بالآلامِ، ويعالج كل أوجاع الروح، الدينُ العظيمُ يُحقّقُ قدسيةَ الحياةِ في الأجسادِ الخاضعةِ للأمراضِ والموتِ، ووحيُ اللهِ يسكنُ في روحِ الإنسانِ قبلَ ولادتهِ، وهذا الوحيُ يُخاطبُ الروحَ فيدفعُ الإنسانَ إلى تسلق قِمم الفضيلةِ، وإياكم والآبائية وموروثاتنا العفنة التي لا تصلح، نقحوا ديننا وتاريخنا من الأساطير والقيم البالية، فالطقوسُ الموروثةُ تُبعِدنا عن اللهِ، فدعونا نَحرقُ البخورَ علي جملة الوساوسِ التي تنتابنا أوهاماً في تراثنا وأساطير الأولين، وإياكم والفرقة والتقربَ من اللهِ زُلفى عِبرَ الدماءِ والشحناء والتعصب، فمرضاةُ اللهِ غاية سامية ونبيلة لا سبيل لنيلها إلا بالعملِ الصالحِ. وليحاول كل منا أن يقتلَ جهلاً ويسدَّ جوعاً ويمسحَ دمعةً ويربت على ظهر يتيم أو يعين أرملة، فالعملُ الصالحُ أطهرُ صلاةٍ، وبالنور تيمموا، وبالعلم انهضوا وقدسوه ووقروا من يؤديه حقه، فمُعلمُ الأجيالِ ناسكٌ يؤدي رسالةَ الحقِّ، المعلمُ رسولُ العلمِ والمعرفةِ والوعي والهديِ. وليكن في معلوم الجميع أنه:يؤدي أطهرَ صلاةٍ من يحرثُ الأرضَ ويزرعُ الحبَّ ويطرحُ السّنابلَ على البيدرِ ويمسحُ العرقَ عندَ التعبِ، من يبني للحياةِ الشريفة راهبٌ يعبدُ اللهُ فيما يبني، ومن يزرع الفسيلة وقد قامت قيامته فقد استيقن الثواب، وآمن بمن سيأتي بعده، فليس المهم أن تجني، بل الأهم أن تزرع أنت، فمن نهلَ الفضيلةَ والأخلاقَ والاعتقاد من كُتبِ السّماءِ.. سما فضلاً وخلقاً وأدباً وتواضعاً، علمتم الناس كيف يثوروا، فآن الأوان لنعلمهم كيف نبني مصرنا؟ فتواضعوا ولا يغرنكم ما فعلتم فالقادم أشقُّ. والله ولي التوفيق.

(جيم) ... جمالٌ حقيقيٌّ

تشبه نفوسنُا في هذا الحياةِ الزجاجَ، فأكثرنا وهو الرديءُ يتشققُ من شمسِ الصيفِ أو يصدأُ من مطرِ الشتاءِ، أما الزجاجُ المصقولُ والجيدُ السبك فيزيده المطرُ رونقاً وجمالاً، ويعكسُ حرارة الشمسِ كبعضِ النفوسِ الكبيرة التي تتجلى وقتَ البلاءِ فتزيدُ تهذيباً وثباتاً.

نعم...النفسُ كالمرآةِ، تعكسُ ما تراه، وتتأثرُ بعوامل الطقس مِن حرٍّ وبردٍ وعواصفَ، وبقدر اهتمامنا بتنظيفِ المرأةِ بقدرِ ما تعكسُ الصورة بأمانةٍ، كذلك النفسُ تستقبلُ الطاقاتِ بنوعيها الإيجابية والسلبية، وبقدر ما نهتم بنظافة النفس وتخليصها من الطاقات السلبية وتجديد شحنها بالطاقات الإيجابية بقدر ما تكون نفوسنا إيجابية، وتصرفاتُ المرءِ وسلوكه نوع من تفريغ الطاقة الداخلية التي تعكسها مرآةُ نفسه، فهذا الذي يجلس في خمارة يجد كلَّ ما حوله طاقة سلبية يتأثر بها وتتداخل عبر مساماته فلا ننتظر منه أن تنبعث عنه رائحة مسكٍ، بل تفوحُ منه روائحُ تشمئز منها النفس السوية، ولا يطيقه إلا من هم على شاكلته، وإذا انتقل من خمارته إلى مكانٍ آخر خرجت منه الطاقات التي تشبهه، أما هذا المتصل بخالقه المتوازن مع فطرته المتسق مع قوانين ربه تجده كإسفنجة يمتص الطاقات والشحنات الموجبة ثم ينتفض ساجدا لربه متخلصاً مما فيه من سلبيات ودنس الحياة.

والنفس تتأثر بالضوضاء السمعية والفكرية والتلوث الخلقي والروحي، ولو احتفظت به اعتادت عليه وأدمنته، وفي قوله ﷺ" وجُعلت قرة عيني في الصلاة" معانٍ لا حصر لها وفوائد جمة لا تستطيع العقول حصرها، وهذا الذي سمع رسولنا الكريم خشخشة نعليه في السماء لا بسبب كثرة صدقته ولا كثير صيامه... ولكن حرصَه على تجديد وضوئه وصلاة ركعتين كلما توضأ، فالحرص على الاتصال بالله أنجع دواء للتخلص من الشحنات السالبة في النفس، وغسل أدران وهموم الحياة مهما كثرت، لذا تسهل على نفسه الطاعة وتصعب على نفسه المعصية، أما جمال هذه الحياة ففي بضع كلمات...من أراد الدنيا فعليه بالقرآن، ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن، ومن أرادهما معاً فعليه بالقرآن؛ يا الله ...فمع القرآن وهو المنهج نعرضُ الصنعة على صانعها.

وقد يضربُ القلقُ بيننا وبين النوم حاجزاً، ولا يسعنا فضاء الكون حين يحدد لنا مسئولٌ موعداً للقائه بضعة دقائق، فيطير النوم من عيننا، ونحتار في اختيار الزي المناسب، ونظل ندعو أن يمر اللقاء على خير، فما بالنا بخالق المسئول ورب الكون، حين نحدد نحن الموعد معه، وننهيه بإرادتنا، ويقبلنا على أي هيئة؟ إنه اللقاء مع الله وتكليمه بآياته، إنه الراحة التي سرعان ما تسري في عروقنا، إنها الطاقة السلبية والشحنات الفاسدة التي تخلصنا منها في حضرة رب العالمين.

إننا صنعة الله وآلته التي وضع لنا كيفية صيانتها وتجديدها وإعادة شحنها، أحيانا نستثقل بعض أعمال الطاعة، ونعاند الهوى ويعيننا الله على آدائها مثل صلاة الفجر، أو زيارة من قطع صلته بنا من أرحامنا، ويخيل إلينا أن حمل الجبل أهون من طرق بعض الأبواب التي أُغلقتْ في وجوهنا، وسبحان الله نرى في نفوسنا عجباً حين نخالف الهوى وننهض لصلاة في ليلة باردة تجد الدفء يغزو خلجاتنا وراحة النفس تعم المكان، رغم أن هذا لم يكلفنا إلا دقائق معدودات! إنها الطاقة السلبية التي كانت تكبلنا خرجت في سجودنا وركوعنا بين يدي رب العالمين. وفي زيارة من قطع صلته بنا نتخلص من الشحنات السالبة التي تكونت داخلنا خلال القطيعة، وسبحان تتغير هيئتنا وتنشرح أساريرنا عند الخروج وكانت عبوسه وسلبية قبل الدخول، إنها صلة الأرحام التي تبارك في العمر وتنميه فيها فعل السحر

البِشرُ وطلاقةُ الوجهِ وجمالُ اللفظ؛ ثلاثةٌ تفضحُ مكنوناتِ النفس، وأضلاعُ المثلثِ في جمال التعبير، وأكثرُ النفوسِ فُطرتْ على جاذبية التعبير وجمال اللفظ، وجمال اللفظ في صدقه، وجمالُ الفنِّ في البعدِ عن الابتذالِ والفسوق، "فبما رحمةٍ من الله لنتَ لهم".

الحقُّ والخيرُ والجمالُ... ثلاثةٌ لا ينفكُ أحدُهم عن الآخر؛ ففي الجمالِ الخلوُ من النقائصِ وروعةِ التنسيق، والضبطُ المنظمُ أو النظامُ المنضبطُ؛ وفارقٌ بين الزينةِ والجمالِ، فحسنُ الهيئةِ أو الهندامِ نوعٌ مِن الزينةِ، فإنْ تكاملتْ بِحُسنِ الجوهر فذاكَ المعبرُ عنه بالجمالِ، وجمالُ الحاكمِ اهتمامه بشئونِ رعيته، وجمالُ القاضي في تحريه العدل، وجمالُ الغنى بتصدقه وإنفاقه، وجمالُ الفقيرِ في اجتهاده وتعففه، وهكذا لكلِّ شخصٍ جمالٌ، وهذا ديدنُ ودأبُ وخلقُ المؤمن، فشعاره(وجعلني مباركاً أينما كنتُ)، ومنازلُ الجمالِ لا تنتهي ولا سقفَ لها، وبقدرِ الهمةِ تنالُ المنازلَ العليا، فلا ينقطعُ إليها سيرُنا، وعينُ المبصرِ على محاسن دينه ومكارم الأخلاق، وكلُّ دعوةٍ إلى الخير مبناها على الحقِّ ومقرونةٌ بالجمالِ والحسنِ، "وقولوا للناسِ حُسناً"، فمع الجمالِ أنسُ المسامع؛ ومع الحسنِ اطمئنانُ القلوبِ، وحين تلتقي الثلاثة (الحقُّ والخير والجمالُ) فهذا هو التناسقُ المبهر والحُسنُ المنسجمُ والمواءمةُ البديعة، فاللهُ هو الحقُّ، والرُّسلُ قناديلُ الخير؛ والكُتبُ هي الجمالُ الْمُنَزَّلُ، وبقدر تداخل الثلاثة في حياةِ المؤمن وعيشه في فلكها يكون جمالُ روحه وحُسنُ خُلقه وتناسقُ ملكاته، ومن ثم يفيض أثرها على سَمْتِهِ وهيئته، فلا ترى منه إلا القولَ الجميلَ والصَّبرَ الجميلَ والصفحَ الجميلَ والهجرَ الجميل. رزقنا الله وإياكم الحقَّ والخيرَ والجمالَ.

يا سادة... تربيةُ الأبناءِ عبادةٌ، حين نوفرُ الأمانَ النفسي في البيتِ تخرجُ منه كلُّ الطاقات

السلبية، فالمكانُ يصنعُ المشاعرَ وينميها، وترتيبُ البيتِ ونظافتُه وجمالُه مهما بدتْ أشياؤه بسيطة تُعَدُّ هندسة المنزل التي سرعان ما ترتدُ إلينا فتهندسُ مشاعرنا، فلا مكانَ أحبَّ إلى المرءِ من بيته حين يحبُّه، وليس أبغضُ منه حين يبغضه، أما هندسة الوطن فلنصبر حتى نعثرَ على الوطنِ.

(حاء) ... حديثُ الليلِ

.....

في ليلةٍ ليلاءَ جاءني صوتُها عبر الهاتف ـ ترتعد الحروفُ وترتجفُ عبر الأثير الكلماتُ.

علمتُ أنَّه قد ألمها شيءٌ، فسألتُ كالمستفهم: مُسَلِّمةٌ أم شاكيةٌ؟

قالتْ: كلاهما. قلتُ: وعليكم السلام ـ ومما تشكين؟

قالتْ: لا أدري مِنْهُ أم من نفسي؟ وسكنتْ.

فعلمتُ أني مقبلٌ على مشكلةٍ، ولابد أن أحسنَ المشي فيها، وإلا لماذا اختارتني؟ والذي يصلحُ بين زوجين كمن يحملُ قنديلاً في مفازة مظلمةٍ ليضيءَ للآخر، أو كمن يغرسُ فكرةً بين قلبين، أو لعله مُطفئٌ ناراً عجز عن إطفائها زوجان، استجمعتُ بعضَ شجاعتي وقلتُ: كلنا يعرفُ زوجَكِ ونُجِلُّهُ، فهل نالَ حبَّ ورضا الجميع وعجز أن يستميلَ قلبك؟ قالتْ: لا ...بل للأسف أنا أعترفُ أنَّ كلَّ سجاياه كريمة ونبيلة، ورغم ذلك هناك قلاقل لا أدري لها سبباً، والأعجبُ أني أراهُ دائماً على حقٍّ.

قلتُ: قد تكون المشكلةُ فيكِ أنتِ وليستْ فيه .قالتْ: ربما.

قلتُ: أحياناً يكونُ خُلقُ الرجل وسموه مع زوجته هو الذي يستدعي منها سوء الخلق.

قالتْ: أترميني بسوء الخلق وجئتك أشكو؟

قلتُ: يا سيدتي أحياناً لا نسألُ المرأةَ حين تغضبُ لماذا تغضبُ؟

قالتْ: ألهذا الحد لا تهتم بالمرأة حتى وهي غضبى؟ أتسخر مني ومنها؟

قلتُ:لا...بل كثيراً ما يكون الغضبُ حركةً في طباعها، ولا سبب له، كمن يكونُ جالساً فيقومُ لا لعلة، ولا يدري لماذا قام؟ أو كمن يكونُ هادئاً فيصرخُ ولا يدري لما يصرخ؟ وربما ما يعتري المرأة كل شهر يجعل مزاجها النفسي مضطرباً حتى يزول.

قالتْ: أتقصدُ أن الغضبَ قد يكونُ طبعاً وخُلقاً في تكويننا بنات حواء؟

قلتُ: تقريباً. وتابعتُ كم مرة أغضبكِ زوجك؟ وكم مرة كنتِ السبب في أن تغضبي؟

قالتْ: الحقَّ أقولُ منذُ أن عرفته وهو يغمرني بفيض كرمة، ولا أدري أنه كان سبباً في مشكلة.

قلتُ: الحمد لله وشهدَ شاهدٌ من ذاتها.

قالتْ: حتى في خصامه لي وهجره يغدقُ عليَّ، فأزيدُ أنا عليه حدةً، كأن بي مسحةً من جنون، وأحياناً أتمنى أن أركعَ على قدميه فأقبلها، وأحياناً أتمناه يقسو عليَّ فيؤدب.

قلتُ: المرأةُ يا سيدتي تطلبُ من رجلها الحبَّ في أشكالٍ وصور متعددةٍ، وتطلبُ منه أيضاً أن يخيفها بأسبابٍ قليلةٍ، فإنها إنْ أحبته ولم تخفْ منه شيئاً نفرتْ منه كأنها تُثيره لتعيدَ فيها أسبابَ الخوفِ فتخافه من جديدٍ.

قالتْ: لا أفهم رغم قناعتي دائماً بما تقول.

قلتُ: علامَ يبحثُ الرجلُ في أنثاه؟ وعلامَ تبحثُ الأنثى في رجلها؟

قالتْ: الليلة لا أستطيعُ التركيزَ.....لكن كلُّ رجلٍ يتمنى أنثي تملأُ عينه وقلبه وتطيعه، وكلُّ أنثى تتمنى رجلاً يحتويها.

قلتُ: إلي حدٍ ما أنتِ قريبةٌ لكن ليس كل القرب، فهذه الإجابة تشبه ما يقوله المتحدثون الرسميون باسم القيادة العليا. قالتْ: أسمعك فهاتِ ما عندك.

قلتُ: الرجلُ يبحثُ في أنثاه عن أرق وألطف ما فيها، والأنثى تريدُ أن تكتشفَ في الرجل أخوف وأشد ما فيه .قالتْ: زدني شرحاً.

قلتُ: الأنثى بلا رقة وحنان تفقدُ أمتع ما فيها عند الرجل، ولذلك يجبُ عليها أن تتفننَ وتشحذُ أسلحتها لتجددَ أنوثتها ورقتها دوماً في عين رجلها، حتى لا يزهدها أو تصبح لديه كتاباً مفتوحاً، وهي تبحثُ في الرجل عن أشد ما فيه وأخوفه حتى تتلاشاه، أو تروضه إن استطاعت.

قالت: لكني لا أخافُ من زوجي ولا أهابه فهو دمثُ الخلق لدرجة تغيظ.

قلتُ: وهذا يا سيدتي سرُّ غضبكِ دوماً وتقلبكِ عليه.

قالتْ: أنعيبُ على الكريم كرمه؟ وعلى نبيل الأخلاق نبله؟

قلتُ: من تمام لذةِ المرأة في رجلها أن يقسو عليها بين حين وآخر، لا ليؤذيها بل ليخضعها أو يسكنَ ثورتها. قالت: كأننا نريدُ العقابَ في خِلقتنا؟

قلتُ: من طبيعةِ المرأة الرقة والحنان والدموع، فهي تحتاجُ إلي من يحيي فيها طباعها، فتحتاج لبعض الأحزان لتحركَ دموعها، فإن لم تجدْ بعض المصائب الخفيفة أو الثقيلة، جعلتْ زوجها بعضَ هذه المصائب. قالتْ: لا أفهم، أتدعي المرأة مصائبَ وتخترعها؟

قلتُ: لا يا سيدتي. فالمرأةُ تخافُ أن تفقد أسلحتها، ولذلك تسنُّ شفرتها من حين لآخر.

قالتْ: كيف؟

قلتُ: إنْ لم يحتوِ الرجلُ امرأته حباً وخوفاً ورغبة ورهبة، تخشى أن تموتَ فيها الأنوثة التي بها جمالها، وهنا إما أن تتذمرَ أو يتصلبُ فيها لينها وتتحجرُ عواطفها.قالتْ: والنتيجة في الحالتين؟

قلتُ: حين تتذمر تعلنُ ثورة سلميةً ليعيدَ رجلها توازنها النفسي وبنيانها الأنثوي من جديدٍ .قالتْ: وحين تتحجرُ عواطفها؟

قلتُ: إنْ لم يُعدْ رجلها توازنها وبنيانها الأنثوي من جديد يتصلبُ ضعفُها ولينها ويُخيلُ إليها أنها لا تجدْ رجلها أو تبغضه، فهناك سلوكان لا ثالثَ لهما. قالتْ: وهما...

قلتُ: إما أن تتجرأ عليه وتكونُ بخلافِ طبيعتها، فلا تطيعُ وتعربدُ وتملأُ بيتها شرّاً وصخباً، وإما أن تتنازلَ عن بعض حقها وتدع الحياة تجري في أبنائها، لتعوضَ ما تفقده، وتؤثر الآخرة على الدنيا، ويبقى الرجلُ في عينها رجلاً وإن قلَّ، وتتذكرَ أنه جنتها وسيحاسبها الله ماذا صنعتِ بدنياكِ؟ وماذا صنعتِ بزوجك؟ قالتْ: كأنك تردني إلي زوجي ردّاً جميلاً.

قلتُ: إنما جئتِ تشكين نفسك وطباعها إلي الآن، وليس هناك شكوى من زوجك، فأنا لا أردكِ، بل أدعُ بعضَ عقلكِ يردُّ بعضَ تهورك وحدة طباعك.

قالتْ: لا تفهم أني متمردةٌ على زوجي أو متسلطة، أو لا أبادله الطاعة معاذ الله، لكن أحياناً أجدُّ في نفسي ثورة لا أعلنها.

قلتُ: حين تتزوجُ المرأةُ وتنشدُ كمالاً في رجلٍ، فتجده في قوته ورجاحة عقله وفتنته وحبه إياها، فهي وإن كانتْ له أَمَةً مطيعةً وخادمة مريحة، ربما لا تصيبُ من الأجر إلا النصف.قالتْ: كيف؟

قلتُ: لنفرضَ أنها تزوجتْ رجلاً ثم وجدتْ فيه عكس الكمال الذي تتمناه، فلا قوة في جسم، ولا رأي لعقلٍ، ولا حب ولا فتنة. قالتْ: إن هذا هو الموتُ المعجلُ.

قلتُ: إذا وجدتْ هذا الموت العاجل، وكانتْ له أَمَةً مطيعةً وخادمةً مريحةً، وتنازلتْ عن معظم حقوقها، وآثرتْ الباقية على الفانية، فبكم من الأجر تذهبُ؟ وهل نساويها بسابقتها؟ قالتْ: لا .قلتُ: هذا ما أقصده. قالتْ: ومَنْ مِنْ النساء يفعلُ ذلك؟

قلتُ: أقلُّ القليل، ونفس الشيء للرجل، قليلٌ قليلٌ من يصبرُ على زوجته وفحشها لينالَ رضا الله، ودوماً تأتي القلةُ في القرآن محمودة وتأتي الكثرةُ مذمومة، اللهم اجعلنا مع القليل.

قالتْ: أراكَ عريتني من بعض المزايا التي كنتُ أتزينُ بها أمام زوجي(كالطاعةِ وعدم رفع الصوتِ وفي نفسي أثور لا عليه).

قلتُ: لا...الأمرُ ليس هكذا، فإن رزقكِ الله بزوج فيه من الرجولة ما تنشدين وتقابلي ذلك بطاعته والوفاء إليه فهذا أقل القليل لشكر الله ثم شكره.

قالتْ: وماذا علينا أن نفعلَ معشر النساء تجاه أزواجنا؟ أنتم دوماً ترموننا بأننا أصلُ البلاء.

قلتُ: لابدَ أنْ تتركَ النساءُ بعضَ حقوقهن لأجلِّ صلاح الأمة والمجتمع وحفظ نظامهما، كما يتركُ الرجلُ حقه كله حين يبذلُ روحه دفاعاً عن وطنه وعرضه، فالمرأةُ تجاهدُ حين تصبرُ، ويكونُ لها مثلُ أجر الرجل حين يقاتلُ في سبيل الله، فطاعة الزوج والاعتراف بحقه وفضله يعدلُ الجهاد في سبيل الله، وقال الرسولُ ـ صلي الله عليه وسلم ـ :"وقليلٌ منكن من يفعله"

قالتْ: كأنك ترميني سفاهة في عقلي وفكري.

قلتُ: فليسامحكِ الله، إنما دفعني اللهُ في طريقك ربما لأنيرَ شمعةً في يدكِ بعودِ ثقابٍ منحني الله إياه.

قالتْ: لم تقلْ لي ماذا على أن أفعلَ الآن؟ قلتُ: عودي لبعض عقلكِ وكلِّ جنتكِ.

قالت: كيف؟ قلتُ: اذهبي إلي زوجكِ وقبلي رأسه وهو ذو نفس كريمةٍ وسيرفعُ عنكِ حرجَ الباقي.

قالت: أخشي أنْ يفهمَ أني إليه ذاهبةٌ من بابِ ضعفٍ وحاجتي إليه احتياج الأنثى لرجلها، وهذا لا محل له عندي الآن.

قلتُ: لا يا سيدتي، لستِ أنتِ الضعيفة، بل هو، وإن كنتِ إليه محتاجة، فهو إليك أشد.

قالتْ: كيف؟ قلتُ: معظم الناس يتصورون أن المرأةَ ضعيفةٌ أمام حاجتها للرجل، أو أن شهوتها تزيدُ وتضاعف شهوة الرجل. قالتْ: أليستْ هذه حقيقة؟

قلتُ: لا هي أخطاءٌ توارثناها لنزيدَ من ضعفِ خِلقةِ المرأة، ونمنحُ الرجلَ قوةً ليستْ من حقه.

قالتْ: أتتكلمُ جَدّاً أم هزلاً؟ قلتُ: بل الْجَدَّ أعني وأقولُ. قالتْ: زدني إيضاحاً..

قلتُ: حين يقولون أن الله جعل للمرأة شهوةً تزيدُ عن شهوة الرجل بسبعة أضعاف...بالله عليكِ كيف جعل الله للرجل أن يتزوجَ بأربع، ويتسرى بما شاء وقت كانت الإماء؟ وهو صاحب الشهوة الأقل والرغبة المحدودة، وعلى الجانبِ الآخر يضيقُ الله على المرأة فلا تزيد على رجل، وربما كان لها منه الربع وهي صاحبة الشهوة المضاعفة والرغبة الكبيرة؟

قالت: لا أعرفُ....نحنُ نسمع ونرددُ لكن لا مرجع لنا في أقوالنا.

قلتُ: أيُعقلُ أن يُضيَقَ على الأكثر شهوة والأحوج ويوسعُ على الأقل؟

قالتْ: ربما هذا خوفاً من اختلاط الأنسابِ، حيثُ المرأةُ موضع النطفة، وفي التوسعة للرجل يكثر النسلُ وتعمر الأرضُ. قلتُ: إنْ كان ما تقولينه صحيحاً فإنها لا تعدو وجهة نظر.

قالتْ: ربما هو أيضاً من قبيلِ تفضيل الرجل بأن وسع له وهو الأدنى شهوة لأنه من ينفقُ وله القوامة، والمرأة مقصورة في بيتها وصلاتها في بيتها أفضل من المسجد، فلذلك لا تقع عينها على الرجال كثيراً بخلاف الرجل، فحاجته إلي أكثر من واحدة أشد من احتياجها.

قلتُ: يا سيدتي إنَّ طبيعة الذكر الحرارة وطبيعة الأنثى البرودة، وصاحب الحرارة يحتاج من(.....)ما لا يحتاجه صاحب البرودة، والواقع والتاريخ يوحي لنا بأنَّ المرأة قد تستغني عن الرجل أكثر من استغناء الرجل عن المرأة. قالتْ: أول مرة أسمعُ هذا الكلام، وممن؟ من رجل!

قلتُ: طالما هذه الأقوالُ لا مرجع لها ولا دليل يبقى للعقل حكمه وإن أخطأ.

قالتْ: أراح الله بالك. أيحتاجني زوجي أكثر من احتياجي له الآن؟

قلتُ: أنا على يقين من ذلك فاذهبي له، فإنه يطيع الله فيكِ، وأنت تعصي الله فيه، والمرأةُ في عين رجلها كالدار المبنية، لا يسهلُ تغيير حدودها إلا إذا صارتْ خراباً، والمرأة وحدها

هي الجو الإنساني لدار زوجها، فممكن من تدخل الدار فتحيلها روضة وإنْ لم يكن فيها شيء، وأخري تجعلها كقيظ الصحراء وعواصفها وإن كانتْ عامرة.

يا سيدتي...حقُّ الرجل على زوجته هو حقٌّ من الله وهبه إياه ثم من المجتمع ثم من نفسه وقوامه عليها ثم من لطف المرأة حين تكون لطيفة، وليس عجباً ما قاله النبي صلي الله عليه وسلم: " لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةُ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا"

وانقطع الاتصالُ فجأة...فأيقنتُ أنها ذهبتْ لتبيت...

(خاء) خيانة مع وقف التنفيذ

عقدٌ ونصفٌ من الزمانِ ولى، وطُويتْ أيامُهُ، مازالتْ الصورةُ التي أهديتني إياها ـ تذكرني بكلِّ الذي مضى، حين يشتدُّ بي الحنينُ....من مضجعها تخرجُ، أناجيها، تحملني أقدامى عنوة...تحتضنُ طريقاً فيه تعارفنا، وتبصقني الذكريات، فـ أسمعُ صدى فيروز تشدو:

رجع أيلول وانتَ بعيد....بغيم حزين قمرها وحيد، تزلزلُ الفؤادَ، أو حين تغنى:

يا جارة الوادي طربتُ وعادني

ما يشبه الأحلام من ذكراكِ، تزيدُ الآلام ألماً.

أتذكرُ...لا لا....كيف أتذكرُ؟ وأنا لم أنسَ......ولن أنسى ما حييتُ، باكورة الحبِّ في شبابٍ ولى، لكنْ حينَ يشيبُ الشَّعرُ فلنْ يهرمَ القلبُ.

أتأملك ...رغم البعدِ، أناجيكم رغم البين، أهمسُ إليكم رغم كبريائي المصطنع،

و... عندما يأتي المساءُ...ونجومُ الليل تظهر

أسألُ الليلَ عن نجمي....متى نجميَّ في الأفق يظهر.

على أنغام القمر تارة...وعلى أنين محاقه أخرى، نفس المكان..نفس النجوم...نفس أدوات الاستفهام، ربما نفس حبات الرمال تقبضها يدي كما كان قلبي يحتويكم، ربما هربتْ من بين أناملي ـ كما هربتِ أنتِ بظروفكم القاسية.

ولما علمتُ أنكِ شولة كان دعائي:

اللهم اجعلني من أهل اليسار في الدنيا، ومن أهل اليمين في الآخرة.

تمرُّ السنون والسنون ، وفى القلبِ متكئةٌ أنتِ، وصورتك تحتلُّ نفس الكتاب ....نفس الصفحة...ومنقوشٌ في هامشها.... (إلى حبيبي) ، كان هذا الكتابُ هديتكم الوحيدة فى سنوات تعارفنا، لكنه فاق كلَّ الهدايا بما حوى، أنظر إليها قائلا:

يا بعيد الدار عن عينى ومن قلبى قريبا

كم أنادي! كم أناديك! ولا ألقى مجيبا

وكنتُ في حبّكِ يا ليلى... كـ الأعْمى الذي لا يُفتنه جَمالُ المنظرِ وسِحرُ العيونِ وقوامةُ القدِّ، إنما يُفتنه وقعُ الحروفِ على الشفاةِ، ورائحتُها التي تداوي الأفئدةَ المكلومة، بل أخالني في هواها كـ الجائعِ الذي تَثِبُّ أحشاؤه شوقاً لفتاتِ بعضِ الكلماتِ، وثريدِ قليلٍ من الجُملِ، ويسيلُ لعابي على فضلِ حديثها أو وعدٍ بـ تتمةٍ، وإذا ألقتْ تحيتَها يغتالُ الحياءُ لساني، وتلفُّ حُمرةُ الخجلِ كياني، وأتصببُ عرقاً وأنتفضُ، ولا أهمسُ بـ بِنتِ شفةٍ.

يا مَنْ ... وَارَاهَا الثرى وإنها:

أبلغُ ذاتِ لسانٍ، وأجملُ ذاتِ وجهٍ

وأنسقُ ذاتِ جِيدٍ، وأوسنُ ذاتِ لحظٍ

وأعذبُ ذاتِ ريقٍ، وأطهرُ ذاتِ نفسٍ

وأنقى ذاتِ فكرٍ، وأبعدُ ذاتِ وصلٍ، وأقربُ ذاتِ هجرٍ

أرنو إلى الصورة...صورة فتاة كأحسن النساء وجهاً .. وقلباً .. وجيداً، يكاد القمرُ من بين عينيها يبزغ، ويكادُ الصدرُ فى الصورة يتنهد ويتأوه...

والثغرُ وما أدراك ما الثغرُ؟ يبتسمُ كأنه يعدُّ بقُبلةٍ.

حين أحركُ الصورة في يدي .. تبدو وكأنها تهمس وترقص وتتدلل..

ساعتها أتذكرُ حين تغمضين العينَ...وتنام كل دنيايَّ في أحداقك

وتزيد فتنتها فتنة...تعذبُ القلبَ وتضنيه، وكأن شعاعُ النور قد قبضتْ عليه أجفانُك

ساعتها تعجز جلُّ حدائق الأرض يا فتاتي أن تخرجَ وردةً تشبه ثغرك.

أتأملُ العنق وقلادةً حوله وصدراً تحته، أتأملُ وأتأملُ المسافة الناصعة البياض من أعلى الجبين إلى أسفل الصدر، تلك منطقة الأماني والقبلات في قاموس كل متيمٍ، أتأملُ الصدر وما يحويه وما يبرز فيه....إنه أجملُ معارض الإنسانية لدي، وأجملُ لوحةٍ يمكن لمثلي أن يتأملها.

وآهٍ من وعد الفم بقبلة...وآهٍ من القبلة حين يتمناها المرءُ

إنها حقّاً خيانة للضمير

فلا فرق بين قُبلةٍ تتمناها وقُبلةٍ في الواقع ـ إلا التنفيذ.

إنها ليلى ... وماأدراكَ ما ليلى؟

.....

(دال) دُولابُ جدتي

......

دولابُ جدتي.. لمن لا يعرفه من جيل (الأي فون) كان بعضُ الرفوفِ من الخشبِ، يتجاوزُ طوله المتر بقليلٍ، وعرضُه يقارب طوله، يبدو أنه كان أنفسَ ما في الجهاز(الجهاز لمن لا يعرفه عفش الزوجية) وكان هذا الدولاب يُرصُّ عليه الطواجنُ(والطاجن يُصنع من الفخار يضعون فيه اللبن) وفوق الدولابِ على مِسمارٍ أكله الصدأ تجد حصيرة الجِبنة(والحصيرة كانت أفضل وأهم ما في البيت لأنها آلة صناعة الجبن القريش) وعلى السطحِ وفي ركنٍ بعيد عن متناول الصغار تجد بلاصي الجبنة القديمة، وكنا صغاراً نبدأ يومنا مبكرين، فبعد صلاةِ الصبح وتناول الإفطار الخفيف وكوب الشاي على المنقد، أو وابور الجاز يبدأ يوم العمل فنأخذ الحيواناتِ إلى الحقل، وتتوزع الأدوار، فالكبار يعملون في الحرث والزراعة، والصغار يباشرون تجهيز العلف للحيوانات طول النهار، وتخفيف الحظيرة من الروثِ(على فكرة.. هذا الروثُ كان مادة الوقود لكانون الطبيخ)، (والكانون أشبه اليوم بالبوتجاز سبع شعلات)، وغالباً كان يصحبنا الكتابُ المدرسي وكراسة الواجب التي تشبه أوراقها قراطيس الفلافل المشبعة بالزيت، وبقايا قلم رصاص نستجديه ليتمم لنا ما بدأنا كتابته. وحين يختفي قرصُ الشمس من دائرة الأفق تبدأ رحلة العودة إلى البيتِ ونقود الحيوانات من خلال ما يسمى بالرواسة (والرواسة لمن لا يعرفها حبل حول عنق الماشية تُسحب منه حين السير وتُربط من خلاله بالوتد في الحقل، وفي حظيرة البيت تربط به من خلال حلقة الطوالة (الطوالة لدى الحيوان... لمن لا يعرفها أشبه بمائدة الطعام لدى البشر أو ترابيز السفرة التي يؤكل عليها). وحين وصول البيت

بعد المغرب تبدأ الحركة والحياة المتسارعة في البيت، فتبدأ الأم بحلبِ الماشية ووضع اللبن في طواجن الفخار، وهنا تأتي أهمية دولاب جدتي والحصيرة، حيث تُرص الطواجن حسب ترتيب الحداثة والقدم، ليُترك اللبن الحديث ليروبَ(يروب اللبن أي يتحول بفعل البكتيريا إلى رائبٍ، أي أكثر تماسكا ويشبه الزبادي على أيامنا)، وحين يروبُ اللبن وقبل النوم تُفصل القشدة ليُصنع منها الزبدة، ويوضع اللبن الرائب في الحصيرة ليتحول إلى جبنٍ نأكل منه، وما فاض من الجبن إما يباع كل أسبوع لأهل المدينة، أو تضعه أمي في البلاصي على السطوح لتتحول الجبن مع قليل من المِشِّ والمِلح إلى جبنة قديمة بعد عام أو يزيد قليلا، وهكذا كان البيت أشبه بخلية النحل، عمل وجد طوال النهار، وسمر وحديث بعد العشاء حول لمبة الجاز أو مشاركة المناسبات مع الأقارب والجيران.

وواقع الريف المصري للأسف فقد معناه، ونسي مبناه منذ ما يربو عن ثلاثة عقود، ومع هوجة الانفتاح وظاهرة تأنيث الأسرة المصرية، حيث سفر الأب وبيع الأرض ومن ثم الماشية، فبات دولابُ جدتي إرثاً عظيماً ويحمل تضاريس الزمن، وتعاريج الأيام، وشاهد عيان على غالبِ طعامنا صيفاً وشتاءً، وكنا حين عودتنا من المدرسة صغارا، أو من الحقل بعد عناء العمل، وألم البطن من الجوع ونسأل أمَّنا الطعام وهي مشغولة بأمرٍ ما...كان جوابها المعتاد: عندك الجبنة والقشدة في الدولاب رُوحْ كُل، وساعتها ينطق لسانُ حال الضجر والتأفف: كل يوم جبنة وقشدة، وكأني أرنبُ درس القراءة في الابتدائي الذي كان يتمرد على أمه قائلا: كل يوم خس وجزر!! وكنا ننتظر بشوقٍ كبير حين ترحل أمي إلى المدينة لتبيع أرطالَ الزبد والقشدة وتعود محملة لنا بخبز المدينة وأقراص الطعمية التي كانت رائحتها أنذاك كفيلة بأن يسيل لها لعابنا عن بُعدٍ، ناهيك عن طعمها ولذتها. ومع تغير البيت من الطوب الطيني إلى الطوب الأحمر بفعل عوامل السفر، فقد دولابُ جدتي رونقه، وانفضت الأفواه من حوله، وتناقصت الطواجن الخاوية من اللبن، فلا ماشية نحلب منها اللبن، وعادت الجبن والقشدة والزبد طعام القادرين وذوي الدخول المرتفعة، وفقدنا بلاصي الجبنة القديمة، وننتظر السنوات ليحدث لنا نوعا من الكفاية المادية أو تفيض بعض الجنيهات عن الحاجة لنشتري بها عينات زبدة وقشدة وجبنة قديمة رغم أنها لا تشبه بضاعة دولاب جدتي من قريب ولا من بعيد.

وظلَّ دولابُ جدتي متوقفاً عن العمل لسنوات كثيرة، لكنه يشغل مكانه ويحتفظ بعبق الماضي

وذكرياته، وبات يشبه الحلسَ القديم الذي لا تُرجى منه فائدة فيحفظ، وتضيقُ به حاجاتُ البيتِ ثم لا يُطرد، إلى أن مللناه وحلَّ مكانه دولابُ التلفاز وترابيزة الكمبيوتر، وامتلأ البيتُ بالأسلاك الموصلة بالكهرباء والنت، والكلُّ ينظر في هاتفه أضعاف ما ينظر وينصت لأهله وذويه ومعلميه ومن ثَمَّ قرآنه. ودولابُ جدتي المتوقف عن العمل والخاوي من طواجن اللبن، والحصيرة المترملة على الحائط أشبه بجامعة الدول العربية واجتماعاتِ القمة التي مللناها وباتت تشغل حيزاً من الحديثِ المعاد والممل والمقزز كل فترة، نفس الوجوه ..نفس المشاكل...نفس الأماني، ونفس قضية فلسطين وبعض التوصيات حبيسة الأدراج، لكن هذه المرة ورغم العدوان على غزة الذي تجاوز الشهر كانت الجامعةُ شيطاناً أدمن الخرسَ، فما سمعنا حتى كلماتها الغثة(ندين ونشجب ونستنكر) لكن لا بأس.. فاجتماعاتها دائما لا يأتي منها أيُّ جديدٍ سوي بعض القبلات وكثير النفاق، وزحام العدسات، ونفس الوجوه من كلِّ وطنٍ كـ دودِ الأمعاءِ في كلِّ بطنٍ، لا نطيق ذكرهم، فما بالك برؤيتهم والتعايش معهم!! ومهما حاولنا التخلص منهم ينبتون من جديد.. كما يتناسل الدودُ ذاتياً، ويبقى لوجودهم حكمة يعلمها الله، فلله الحمد والمنة على ما كشفه لنا دود الوطن من أشياء كنا نجهلها. وسيظل تناسل الدود مستمراً، وستظلُّ أغلى ثلاث كلمات في تاريخ العرب... ندينُ ونشجبُ ونستنكرُ، ولو حسبنا تكلفة هذه الكلمات وتكلفة الاجتماعات ستجدها فاقت ميزانيات دول كبرى، بلاها جامعة .. يعني لو كانت مدرسة وألا دار حاضنة مش كنا تقشفنا ووفرنا النفكات؟؟؟.

والآن أسأل.. متى نتخلصُ من إرث جامعة الدول العربية كما تخلصنا من دولاب جدتي الذي لا فائدة منه؟

(يوميات مواطن مفروس من الجامعة العربية).

(ذال) ذكرى وميلاد

....

جئتُ من عملي مرهقاً، فإذا بابني الصغير يتابعُ التلفاز بشغفٍ، سألتهُ مستفهماً: مالي أراك مستغرقا يا بني؟ ردَّ على مضضٍ ـ إنهُ يومُ الاحتفالِ بالثورةِ يا أبي ـ ألم تعدني أننا سنحتفلُ بها في أحد الميادين؟ قلتُ له: مشفق عليك يا بني من وعثاءِ السفر وبرودةِ الطقسِ وزحام الميدان، فالمسافة كبيرة بين قريتنا المتواضعة وقاهرة المعز، ولكنْ هيا بنا نحتفلُ بثورتنا في مدينتنا المنصورة، فنادى على أخته التي تكبره بأعوامٍ خمس ـ هيا يا مريمُ قبل أن يتراجعَ في كلامهِ، فالتعبُ يلفُّ جنباته وأخشى أن يتعللَ به. وانطلقنا سوياً لنصلَ مع آذان العصر، فصلينا وحمدنا، وابتلعنا الشارع الرئيسي بزحامه، فرأينا الراياتِ ترفرف، وبالوناتٍ من كلِّ لون، والمحلات تعلوها الزينة و بصنوف الحلوى عامرة. سألني صغيري الذي لم يكملْ عامه العاشر بعد: ما كلُّ هذه الزينات والحلوى يا أبي؟ قلتُ له: تداخلَ العيدان يا بني، فالآنَ يمرُّ أربعة أعوامٍ على ثورتنا التي أطاحتْ بنظام فاسدٍ، وبعد أيامٍ تهلُّ علينا ذكرى ميلاد الحبيب صلى الله عليه وسلم، فقالَ الصغيرُ: وهذه الزينة والحلوى أيُّ الأعياد تخصُّ؟ فقلتُ له: للحلوى يا بني تاريخٌ، فقد عرفناها مع دخول الفاطميين لمصرَ، فلما لمس الفاطميون حبَّ المصريين للنبي وأهل البيت، كانوا يوزعونها عليهم في ذكرى مولده، وباتتْ هذا العادة متأصلة لدينا كمصريين، لكني يا بني لا أحبها وأخالفها. فتعجبَ الصغيرُ!! وعلتْ الدهشة محياه ولم ينطقْ، فبادرتهُ كي أزيلَ عنه ما اعتراه. فقلتُ له: ليس حُبَّ النبي أن نطعمَ الحلوى ونقيمَ الموالدَ والموائدَ ونرددَ الأغاني والأناشيد، بل يكمنُ حبنا له في اتباع سنته ومعرفةِ شمائله،

ونقتدي فنهتدي. زادتْ دهشة الصغير مع ابتسامةِ أخته التي توحي برغبةٍ في المزيد، طوقتْ يداي عنقي الصغير وأخته وجلسنا على أقرب أريكةٍ كمن وجد ضالته، وتابعتُ حديثي قائلاً: شهر ربيع الأول وُلِدَ فيه سيدُ الخلقِ وأكملُ البشر؛ الرحمة المهداة والنعمة المسداة، أعظمُ الناسِ خُلقاً، وأصدقهم حديثًاً، وأسخى الناس نفسًا، وأطيبهم ريحًا، وأجودهم يدًا، لم يعرف التاريخُ رجلاً يا بني أسدى منه، ولا أتقى ولا أخشى منه، ولا أعظم ولا أجلَّ منه، فكلُّ الطرقِ مسدودة، وكلُّ الأبوابِ موصدة، وكلُّ الدروبِ مفصولة غير موصولة إلاَّ الدرب الذي عليه سار رسولنا الكريم، إن بين أيدينا كنزًا لا ينفد، ومنهلاً عذبًا لا ينضبُّ؛ كتاب الله وسنة رسوله، فأين نحن من العمل بهما؟ إنَّهما المأمنُ الأمين والحصنُ الحصين ؛ فالاقتداءُ بهما مخرجٌ من كلِ فتنةٍ، ونجاة من كلِّ محنةٍ، تمسكْ بهديه يا بني تمسكًا صادقًاً، واعرضْ أعمالك وأقوالك وفعالك على منهجه وطريقته، تعش يا بني سعيداً وتمت وفياَ. جاء أعرابي يا بني إلى النبي ﷺ فقال: متى الساعة ؟ قال رسول الله ﷺ: " ما أعددت لها؟ "، قال: إني أحبُّ اللهَ ورسوله. قال: " أنتَ مع من أحببت ". بهذا الحب يا صغيري تلقى نبيكَ على الحوضِ فتشرب الشربة التي لا ظمأ بعدها أبداً. اسمع معي يا بني قولَ الحقِّ: " ومن يطع اللهَ والرسولَ فأولئك مع الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ". إنه يا بني الرحمة المهداة، واعلم أن ابنَ القيم يقولُ :" إن عموم العالمين حصلَ لهم النفعُ برسالته، أما أتباعه: فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة. وقال الحسنُ بن الفضل: لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي ﷺ، فإنه قال فيه:" بالمؤمنين رؤوف رحيم "، وقال في نفسه: "إن الله بالناس لرؤوف رحيم "، حتى الجماد يا بني أحبه، فما بالنا نُعرضُ! واعلم يا بني أن خصالَ الجلال و الكمالِ في البشر نوعان: ضروري دنيوي اقتضته ضرورة الخلقة، ومكتسب ديني، وهو ما يحمد فاعله، و يتقرب به لله زلفى. فأمَّا الضروري فليس للمرءِ فيه اختيار، مثلَ ما كان في مظهره من كمالِ خلقته، وقوة عقله، وصحة فهمه، وحسن صورته، وفصاحة لسانه، وغيره، وأمَّا المكتسبة فالأخلاق العالية: من الدين والعلم، و المروءة و الزهد و التواضع، والحياء والصمت، وأخواتها، وهي التي يجمعها حسن الخلق. و قد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة لبعض الناس، وقد يختلفُ الناسُ بعضهم عن بعض في هذه، ولكن أن تُجمعَ لشخصٍ واحدٍ فهذا من عظيمِ الفضلِ لهذا النبي صلى اللهُ عليه وسلم

ورفعته، ولقد أخذ سبحانه العهدَ على أنبيائه إن أدركوا نبينا أن يتبعوه ويخبروا بذلك أقوامهم. لما فقده الجذع الذي كان عليه يخطبُ حنَّ إليه وصاحَ، فنزل إليه فاعتنقه، فقال ﷺ: " لو لم أعتنقه لحنَّ إلى يوم القيامة ". واعلم أن كمالَ الإيمان في محبته، فهو يقول: " لا يؤمنُ أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ". ويقول أيضاً: " ثلاثٌ من كن فيه ذاق حلاوة الإيمان: أن يكونَ الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ". وهذه مكافأة يمنحها اللهُ لكلِّ من آثر اللهَ ورسوله على هواه، فيحسُّ للإيمانِ حلاوة تتضاءلُ معها كلُّ لذاتِ الأرض، فانظرْ في سويداء قلبك يا بني وقارنْ حبك لنبيك بجميع الخلائق بمن فيهم أنا وأمك، فإن وجدتَ في نفسك أني أقربُ إليكَ من نبيك فصححْ إيمانك. واعلم إن علينا في زحمةِ الأحداثِ وفي خضم التداعياتِ وكثرةِ النوازل أن نلتفتَ إلى الرؤية الشرعية التي جاء بها نبينا بيضاء نقية، وأن ندقِّق النظرَ في الكون، وأن نقرأ الواقع والتاريخ ، فقد زلَّتْ أقدامٌ وضلَّتْ أفهامٌ وأخطأتْ أقلامٌ واحتار كثيرٌ من المفكرين وأرباب الإعلام؛ لأنهم لم ينطلقوا من الهَدى الذي انطلق منه نبينا ﷺ. ولأجل هذا كان علينا أن نحذرَ من الحملة الضروس التي يديرها أعداؤنا علينا من خلالِ القدح في رسالتنا، والطعن في عقيدتنا، ونزع عقيدة الولاء والبراء من قلوبنا، ومن استجابَ لهم في شيء فقد وقع في خيانةٍ كبيرة، وجرمٍ ما بعده جرم، فالحمدُ للهِ الذي أنعم علينا فجعلنا من أمتهِ، ومن أتباعهِ، ومن خير أمةٍ للناس أخرجت، والحمدُ للهِ الذي منحنا هذه الشريعة الغراء التي تنيرُ لنا السبيل في السراءِ والضراءِ، فيجبُّ علينا أن نشكرَ المولى إزاء آلائه بالتمسكِ بكتاب الله وسنة رسوله، وتأكد أننا لن ندركَ غايتنا إلا بهداية الله، ولن نحققَ رجاءنا إلا بمعونته، ولن نخرجَ من البلايا إلا بإعزاز دينه، ويجبُّ علينا أن نتحلى بالصدقِ في الانتماءِ لديننا وعقيدتنا، ونصرة منهج رسولنا ﷺ. أمَّا أن ندَّعِي محبته ونحن نصادمُ سننه، ونخاصمُ شريعته، ولا نُحكِّم منهجه، ولا نلتزمُ هديه، فهذا لعمري أكذبُ الحبِّ؛ {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، {فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}. ليس من تعظيمه ﷺ أن نبتدعَ في دينه، أو نغيرَ في شريعته، أو نحتفلَ بمولدهِ، وليس من تعظيمه أن نتشبه باليهودِ والنصارى في هديهم، ونتركَ التشبُّه به في هديه وسننه، وليس من تعظيمه أن نتسولَ الشرقَ والغربَ ونجرِّب مناهجهم، ومنهجه بين

أيدينا. وما حصلَ من السخريةِ لنبينا الكريم من الكفرة وإعلام الطواغيت قد ظهر وتبيّن، وتجلتْ وقفة الأمةِ من مقاطعةِ المسلمين بضائعهم، وإنكارهم ذلك، وهبتهم لنصرة نبيهم. فإن كنتَ صادقاً في محبة ربّكَ ونبيك، فاعلمْ أن الذي أمرَ خنازير الكفرة بإهانة نبيك هو معكَ وبين يديك، إنه الشيطانُ يا بني الذي (يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)، يقولُ بعضُ السلفِ : (لا تكن عدو إبليس في العلانيةِ وصديقه في السِّر). إنه مَزْلق خطير أن نظنَّ أننا نصرنا ربنا ونبينا بما حصلَ من مقاطعةِ ما غايته شهوات بطن وإن كان هذا نوع نصرة، وإنما بيْتُ القصيدِ هو حسن الاتباعِ وصدق الحبِّ، تأمل معي قول ربنا عز وجل: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }، هذه الآية تسمى آية المحنة وفيها الامتحان : هل المحبةُ صادقة أم كاذبة ؟ ولذا عليكَ أن تتأملَ جزاءَ الصدقِ في ذلك وهو: (يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)، ولهذا يقول بعض السلف: (ليس الشأن أنْ تُحِبَّ ولكن الشأن أنْ تُحَبَّ!)، فنسأل اللهَ أن يجعلَ ما حصلَ من مقاطعةِ بضائع هؤلاء فاتحة خير للأمة، وبداية حياةٍ لها لرجوعها إلى نبيها، وألاَّ يكون ذلك مجرد حماس وردة فِعل كما يُقال :سحابةُ صَيفٍ عما قليلٍ تَقَشَّعُ !ولتعلمَ أنه لا يضر القمرَ نباحُ الكلابِ، ولا يضر الشمسَ مقولة الجرذان! فهكذا الحالُ يا بني مع أعداء الله ورسوله الكفرة الفجرة. إنَّ وَصْفَ نبينا – عليه الصلاة والسلام – برسوماتٍ بشعة وصوَر قبيحة ربما هو من قبيل ـ وإذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ طُويتْ أتاحَ لَهَا لسانَ حَسُودِ! إن الغيرة للهِ ولنبيهِ ولدينه إذا كانتْ صادقة فآثارها لابد أن تظهرَ على سلوكِ مَن غار، وإلا فهي كثوَران الغبار لسقوطِ جدار. وفصلُ الخطابِ أنَّ أعظمَ النصرة تكونُ باتباعه، وأعظمَ المقاطعة مقاطعة الشيطان الذي يجري منا مجرى الدم لِيُضلّنا ويصدنا عن هَديه، وربما لم يتجرأ عليه الكفارُ هكذا إلا حينَ تنكّرنا له، وبذلك فتحنا لهم الأبوابَ وكسّرنا الأقفالَ، وكيفَ نستغربُ أن يتجرأ الكفارُ على ديننا ونبينا ولدينا مَن يسبّ اللهَ والرسولَ والدينَ ولم يحصل لهم شيء ؟!!فما حدثَ من طعنٍ في النبي واستهزاء به، بنشرهم رسوماً ساخرة بالنبي ﷺ، محادَّاةٌ لله ورسولِه، ومحاربةٌ وإيذاءٌ ، وقد قال جَلَّ وعلا في المؤذين له ولرسوله : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً). وقد أوجبَ اللهُ على المسلمين حقوقاً وواجباتٍ في شأن الُمعادين له ولرسولِه، وجعلَ حكم مَن سبَّ رسوله ﷺ القتل، مسلما كان أو كافرا، وقَرَّرَ هذا ابنُ تيمية في كتابه

«الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ »، واستدلَّ عليه بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة، وساق فيها ما لا يُستطاع دفعه، فقالَ : أن مَنْ سَبَّ النبي ﷺ من مسلم أو كافر يجبُّ قتله. هذا مذهب عامة أهل العلم. ولما كان هذا متعذراً اليوم على المسلمين لضعفهم أَنْ ينالوا من أعدائه والمستهزئين برسله، كان الواجبُ على كُلِّ مسلمٍ في هذا حسب طاقته، إعذاراً إلى الله وبراءةً منهم إليه. لذا فالواجبُ على المسلمين اليوم إنكارُ هذا المنكر، كُلٌّ بما خَوَّلَهُ الله، والواجب على ولاة أمور المسلمين قَطْعُ صِلَتِهم بكلِّ الدول المسيئة، وعلى عموم المسلمين تجاراً وغيرهم مقاطعة سلعهم، ليذوقوا وبال أمرهم، وليس لهذه المقاطعة غاية تنتهي إليها، إلا بمحاسبة تلك الصحيفة ومن له بها صلة، ومعاقبتهم عقوبة رادعة. أَمَّا ما ينادي به البعضُ من أنْ تكونَ غايةُ المقاطعة اعتذارَ الحكومة أو الصحيفة، فليس من الحقِ ولا العقل في شيء ! وحكم بما لا يعلمُ، فلهذه الجناية حَقٌّ عظيمٌ للهِ عزَّ وجلَّ ، ليس لأحد أَنْ يتنازلَ عنه ، أو يُعلنَ فيه تسامحاً. قال شيخ الإسلام: (إن النبي ﷺ كان له أَنْ يعفو عَمَّن شتمه وسَبَّهُ في حياته ، وليس للأمة أَنْ تعفوا عن ذلك) . فلا حَقَّ لأحدٍ أَنْ يتنازل عن حَقٍّ ليس له، ومَنْ تنازل عن شيءٍ من ذلك، فإنما تنازلَ عن حَقِّ غيره، فلا يَصِحُّ تنازلُه ولا يجوز. كما أَنَّ الواجبَ على المسلمين أيضاً مُناصرةُ كُل تاجر كريم ، غضبَ لمحاداةِ أولئك الكفرة لله ورسوله ﷺ – فقطع وارداتهم – بالشِّراءِ منه، تأييدا له ومناصرة ، وتشجيعا لغيره أَنْ يسلك مسلكَهُ، وينهجَ نهجه. وفي المقاطعة فوائد جمة أهمها: الإعذار إلى الله، واحتساب المقاطع للأجر من الله، والتنكيل بأعداء الله، وكذلك إظهار عزة المؤمنين. وبقي هنا فوائد المحنة: أنه كان عند الفتح لما يعز ويمتنع الحصن على المسلمين، فيتعرض أهله لسب رسول الله فيعجلُ الله بفتحه، وكل من أساء إلى نبي الله فالله يكفيه وينتقمُ منه، وكما قال سبحانه (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِيْنَ إِنَّا كَفينَاكَ الْمُسْتَهْزِئِيْنَ)، وكذلك نعرف هنا أعداءنا ونتوحد. وهنا أدركني التعبُ وأشفقتُ على صغيري من هول ما سمع، ولسانُ حالِ ابنتي ينادى: يا أبى قد آلمتَ قلبي وجوعتْ بطني، فنهضتُ على عجلٍ أبتاعُ لهما ما يقيم أودهما، وناولت الصغير مشروباً مثلجاً ليلينَ بلعه، فأمسكَ الزجاجة وقال مندهشا: يا أبى هذه ليستْ بضاعتنا، فدعني أقاطعُ كلَّ أجنبيٍّ من الآن، فابتسمتُ ابتسامة الرضا، ورددنا معاً ...(صلى الله على محمّد ﷺ).

......

(راء) " رَبِّ زِدْنِي عِلْماً "

......

لقد منح الله – عز وجل – الإنسانَ الوسيلةَ التي من خلالها يمكن التعرف بها عليه أولاً، ثم تلقي العلوم والمعارف والتجارب ثانياً، هذه الوسيلة هي العقل. والعقل من أعظم مخلوقات الله ـ عز وجل ـ، والكون بما فيه لأجل الإنسان خُلق، وتذكر كذلك أن الذي خلقه، قد طالبك بالنظر إليه، والتفكر فيه، والاستدلال من خلاله عليه"أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ" (الأعراف: 185). ويقول الغزالي :"لا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته، ولكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره"، فالتفكر يورثُ الحكمة ويحيي القلوبَ ويوصل إلى رضوان الله ومحبته، وقال وهب بن منبه: ما طالت فكرةُ امرئ قَطُّ إلا علم، وما علم امرؤٌ قَطُّ إلا عَمِلَ، ويقول المتنبي: لولا العقولُ لكان أدنى ضيغمٍ .... أدنى إلى شرف من الإنسان، ولما تفاضلت النفوس ودبَّرتْ .... أيدي الكماةِ عواليَّ المرَّان، ويقصد هنا لولا العقول لكان أقلُ أسدٍ ينال الشرف دون الإنسان، ولولا العقول لما كان لإنسان على آخر فضل، ولما أمكن الشجعان أن يعملوا بالرماح في الحروب الأعمال الهائلة. ويقول صالح بن عبد القدوس: وإنَّ من أدبتهُ في الصبا ....كالعودِ يُسقى في غرسه، حتى تراه مورقاً ناضراً .... بعد الذي أبصرتَ من يُبْسِهِ. فإذا أُدِبَ الإنسان في صغره كان كالعود يُتعهدُ بالسقي من أول غرسه، ولا يزال ينمو العود حتى تراه ذا ورق ناضر بعد أن كان يابساً.

ويقول الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين: "العلم أفضل ما طُلب وُجَدَّ فيه الطالبُ، وأفضلُ ما كُسِبَ واقتناه الكاسبُ". وقيل: من أمضى يومه في غير حقِّ قضاه أو فرض أداه أو مجدٍ أثَّله أو حمدٍ حصَّله أو خير أسسه أو علمٍ اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه. ويقول الحسن البصري: "لما خلق الله عز وجل العقل قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر،

وقال: ما خلقت خلقاً هو أحبُّ إليَّ منك، إني بك أُعبد، وبك أُعرف، وبك آخذ، وبك أعطي". وبالعقل والتفكير يستطيع الإنسان أن يتعرف على مظاهر الكون المادية والمعنوية، وكيف تتلاءم أجزاؤها في الطبيعة، وكيف تتداعى في العقول، فكلما ازدادتْ معرفة الإنسان بربِّه ازداد حبُّه له، وافتقاره إليه، واعتماده عليه، واستسلامه له. لذلك فإن البداية الصحيحة لتحقيق العبودية هي (معرفة الله) عز وجل، وكلما تعرف المرء على ربه أكثر كلما عامله بصورة أفضل، وكلما جهل المرء ربه كلما ابتعدت معاملته له عن الصورة المطلوبة "وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ" (الزمر: 67). أخرج عبد بن حميد عن صالح بن مسمار قال: بلغني أن النبي ـ ﷺ ـ تلا هذه الآية "يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ" (الانفطار 6)، ثم قال: جهله"[4]. والعلم قرين الخشية، قال الله تعالى: " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ "(فاطر/28). و(العلماءُ) هم أهل الخشية والخوف من الله. لذا فالعلم النافع هو الذي يؤدي إلى معرفة الله عز وجل، ثم يتبعه حُسن التعامل معه والعمل له، فيزداد المرء له خشية وطاعة ومحبة واستقامة، فإن لم يُؤدِّ العلم الذي يتعلمه المرء إلى ذلك صار علماً غير نافع. وقد استعاذ منه رسولنا الكريم ﷺ، وفي صحيح مسلم عن النبي ـ ﷺ ـ أنه كان يقول: (أعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع). وفي حديث آخر قال: (سلوا الله علمًا نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع). وهذا يدل ـ كما يقول ابن رجب ـ على أن العلم الذي لا يوجب الخشوع في القلب فهو علم غير نافعٍ. ومن عظم شرف العلم عند الله أنه حتى الحيوان يرتفع قدره بالعلم، قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ} (المائدة:4). قال ابن القيم: "إن الله تعالى جعل صيدَ الكلب الجاهل ميتةً يحرم أكلها، وأباح صيدَ الكلبِ المعَلَّم، وهذا أيضًا من شرف العلم. ويقول سفيان الثوري: إنما فُضِّلَ العلمُ لأنه يُتَّقى الله به، وإلا كان كسائر الأشياء. وكان الإمام أحمد يقول: أصل العلم خشية الله، وقال كثير من السلف: ليس العلم كثرة الرواية وإنما العلم الخشية. وفي حكم ابن عطاء:" (العلمُ إن اقترنت به الخشية فلك، وإلا فعليك). وعندما سُئل الإمام أحمد عن معروف الكرخي، وقيل له: هل كان معه علم؟ فقال:" كان معه أصل العلم، خشية الله عز وجل". ويقول يحي بن

---

[4] ـ (أورده السيوطي في الدر المنثور 6/ 534ـ دار الكتب العلميةـ بيروت.)).

معاذ: " العلماء أرحم بأمة محمدٍ من آبائهم وأمهاتهم، قالوا: كيف؟ قال : الآباء والأمهات يحفظون أولادهم من نار الدنيا وآفاتها، لكن العلماء يحفظون أتباعهم من نار الآخرة ، وتنتهي فضائل الأبوة في الدنيا، لكن فضائل طلب العلم تستمر إلى أبد الآبدين ". وقال أبو الأسود الدؤلي:

العلم كنز وذخر لا نفاذ له نعم القرين إذا ما صاحب صحبا

قد يجمع المرء مالًا ثم يسلبه عما قليل فيلقى الذل والحربا

وجامع العلم مغبوط به أبدًا فلا يحاذر فوتًا ولا هربًا

يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه لا تعدلن به درًا ولا ذهبًا

ولا يخفى على أحدٍ أن العقلَ رأسُ الأدبِ وبه يُكتسبُ العلم، وأفضلُ ما لدى المرء، وهو كامنٌ في جسده كمون الطيب في العود، أو هو بمثابة الرائحة في قارورة العطر المغطاة. فالأول لا يُرى طيبه وحسن رائحته إلا حين يُقدح بالنار، والثانية لا تُشمَّ إلا حين نزع الغطاء عن القارورة. فمن منَّ اللهُ عليه بالعقل وحسن الفهم فقد اصطفاه لخير الدنيا والآخرة، وهذا الفارق نراه جليّاً بين من حسن فهمه ومن خبثت طويته، وحسن الفهم ليس مرتبطاً بشهادات نحصل عليها بقدر ما يرتبط بالفطرة السليمة وخلو النفس والقلب من عللهما... فما حدث في رابعة والنهضة يرفضه من لديه بقية من دين أو عقل أو مازال يتحلى بإنسانيته. ومن حباه الله بالعقل لا يزال للهوى متهماً ولا يدور في فلك مصالحه الخاصة فحسب، بل ينشد الكمال والحكمة أينما وُجدا، فالعاقل لا يقبل من إعلام ولو كان صدوقاً إلا صدقاً، بل ويستيقن إذا التبس عليه أمرٌ. وهذا زهير بن أبي سلمى يقول:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبقى إلا صورة اللحم والدم

والمرء بأصغريه: قلبه ولسانه كما يقال، أي بعقله وتفكيره ومنطقه. وللأسف حين نطالع القرآن نجد الأكثرية مذمومة... فأكثر الناس لا يعقلون.. لا يؤمنون... لا يعلمون، وعلى النقيض نجد القلة ممدوحة، وقليل من عبادي الشكور... وما آمن معه إلا قليل. نسأل الله الإخلاص وحسن الفهم وأن يجعلنا من القليل. ..ولا عزاء لمنظومة التعليم في مصر، وتباً لمن كان سبباً في هدم صرح العلم في مصرنا. "رَبِّ زِدْنِي عِلْماً " وإياكم. اللهم آمين.

(زاي) ... زهرتي

......

إليكِ .. يا مَنْ

لملمَ القدرُ شملنا

ورمَّمَ الهوى خطانا المبعثرة

أنتِ من أنتِ؟

من أيّ الفضاءات جئتِ؟

بحثتُ عنكِ كثيرا فلم أجدك

لكنه قدري .. فنعم القدر

يا فطرةَ لم تنتكس

ويا حامدةً على العدم

قليلكِ لا قِبلَ لنا بشكره

ويا من

قليلها لا يُقال له قليل

أنتِ من أنتِ؟

في عينيك مفاتيحُ الرضا

وبين ثغرك

الـ نعم

والـ حاضر

كلمتان خفيفتان

مهموستان

تطوقين بهما عنقي

فلا ترى عينيَّ

سواكم

أتذكر وأتذكر

فحسناتكِ يا حبيبة القلب

كُثرٌ

وصفاء دمعتك

تغسلُ كلَّ أدرانِ الدنيا

كانتْ

حين تهلُّ تنطق بلسانِ النسيم

وحين تغيبُ تفيض مُقلها بماءٍ النعيم

وكنتُ

في إقبالها أشمُّ

رائحة الجنان

ومعها أقضي وقتاً

وكأنه من الجنةِ مسروقٌ

كانتْ تبدو لي وكأن

أصداغَ المسكِ على الوجنات الموردة

وحين تغادرني

تهطل العيونُ

بمثل أفواه ٱلقِرب

أهٍ ... حين يأخذنا الحبُّ بلواحظه

ويقرصنا بأنامله

وتمتلئ الأفواه بالرضاب

وتتناجي العيون بالهمس

وتقبلُ عقاربُ الهوى

بين نياطِ القلب تدبُّ

أنتِ ما أنتِ؟

أنت معي زائرٌ من النفوس قريبٌ

كله حسنٌ وطيبٌ

أنفاسه عبيرٌ

ومن سِواكها وخمارها أغير

يا من نقابُها الحياء

ويا مَن

ترقرقَ في وجهها ماءُ الحُسن

ويا مَن

غمازاتُ طرفه

تُخبرُ عن ظُرفه

ويا مَن

منطقه يَنطق بوصفه

كانتْ حبيبتي تخجلُ

من محياها الأقمار

الحُسنُ ما فوق أزرارها

والطيبُ ما تحتَ إزارها

يهابها الفجرُ

حين الفجر تُصلي

وجميعُ الحسن بعضٌ من صفاتها

في ألحاظها السِّحر

وفي ألفاظها الشهد

اختلستْ من الغصن قامته

ومن الربيع شذاه

ومن الماء صفوه

فكان ماءُ الجمال

في خدها يترقرق

ومحاسنُ الربيع

بين سحرها ونحرها

القمرُ يا حبيبتي

بقايا من بقاياك

وحين تنامُ أرنو

إلي براءتها كطفلٍ

أتأمل

ولسان حالي ينطق

سبحانه

من أحلَّ الحلال

وحرم الحرام

وجهكِ يا زوجتي

بماء الحسن مغسولٌ

وطرفكِ يا أم صغاري

بـ مرود السحر مكحولٌ

ولي عندكَ يا مولاي مسألة

ألا ترحل قرة العين قبلي

فحياتنا معا

خير و أبقى

ولا طاقة لي بالعيش دونها

ولا البيتُ دونها بيتٌ

والجنة دونك يا حوائي

سـ ر ا بـ .

(سين) سامح تسعد

.....

حين نستمع إلى(الأنا) التي بداخلنا تحاول أن تقنعنا ألا نسامح، بل تؤكد لنا أننا نفعل التصرف السديد، وعلاوة على ذلك تقنعنا أنه من الأفضل أن نكره بدلا من أن نحب، وهذا الذي يرفض تجربة الحب والصفح يسلم نفسه إلى صراع خفي بعيدٍ كل البعد عن السلام، ويبرر لفعله الأسباب والمبررات الكثيرة، ومعللا بأن هذا الذي آذاني يستحق العقاب والغضب، وإذا سامحنا ربما يتكرر الخطأ، أو إذا سامحنا فسنبدو أضعف، أو أن التسامح يعني إقرار فعلته، ونقنع أنفسنا بأن القوة مرتبطة بعدم التسامح، وأنه لو تسامح خسر هيبته، وفي هذه الحالة علينا أن نفاضل بين رسائل الأنا وبين صوت الحب والتسامح، ثم نجبرها على اختيار الصفح والعفو والنظر إلى من حولنا ككائنات روحية لا أجساد، وهنا نُعلي من من قيمة التسامح لأنه ينسجم ويتسق مع نهج العقل والمنطق والدين والاعتقاد الصحيح.

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى .... ودافع ولكن بالّتي هي أحسن

نعم مغريات الحياة كثيرة، ونرى أشخاصاً يملكون أكثر مما لدينا، ونظن من خلال نظرتنا القاصرة أنهم أكثر منا سعادة بما يمتلكون، وبداخلنا شيء ينشد السعادة المفقودة غالبا، وهذا الشيء نطلق عليه أو نسميه " الأنا"، وهذه الأنا توجه رسائلها إلينا، وتصف العالم من حولنا أنه غير منصف، وأننا فيه ضحية، وأن الظلم الواقع علينا أكبر من أن يطاق، فعلينا أن نكون دائما وأبدا متيقظين، وأجمل ما تصدره لنا هذه الأنا أننا نملك الإرادة والاختيار، وأننا يمكن أن نختار الحب بدلا من الكراهية، والتسامح بدلا من الغضب والمرارة والتذمر، وأننا حين نستمتع بحياتنا النفسية نرى العالم من منظور مختلف، بل نرى الوجود جميلا وينعكس هذا الجمال إلى داخلنا.

وهذه "الأنا" التي بداخلنا قادرة على أن تدرك أنه من المستحيل ممارسة السعادة لوقت طويل، ومن المحال أن نعيشها بشكل متواصل، لذا نجد أنفسنا نبحث عن هذا الشخص أو ذاك الشيء المسبب لفقدنا هذه السعادة، ونلقي باللوم عليه، وكأننا ودون أن ندري نبحث عن الخطأ، ونتأكد دائما أننا على صواب، وأن الشخص الآخر هو المخطئ دائما، وعليه فتعاستنا أو سعادتنا تقاس بالدرجة التي نقبل بها النصيحة من "الأنا" ، فغالبا ما نحاكم الآخرين ونلقي عليهم تبعة ما نحن فيه من آلام أو تعاسة، ولا نسمح للتسامح أن ينطلق ليعلو صوته، ونبحث عن أخطاء ومبررات ولوم الظروف المحيطة والمسببة لتعاستنا. وعليه لابد من فهم التسامح بمعناه الواسع ولا نقف عند تكرار المصطلحات ذاتها، بل ننتقل إلى فهم التسامح بأنه عملية تحويلية ومستمرة ومن خلالها نحرر أنفسنا من إقناع "الأنا" التي بداخلنا، وتغيير رؤيتنا للأمور ونجعلها تكف اللوم عن الآخرين، ونتصرف بشكل تلقائي وروحاني لائقين ويحققا لنا الحب والسلام والسعادة.

(همسة) ... ويقول أيضاً:

وما أحد من ألسن الناس سالما ...ولو أنه ذاك النبي المطهر

فإن كان سكيتا يقولون : أبكم ...وإن كان منطيقا يقولون : أهذر

وإن كان صواما وبالليل قائما ...يقولون : زراق يرائي وينكر

فلا تخش إلا الله ﷻ ...هو الواحد المنان الله أكبر

... قال مسلمة بن عبد الملك: دخلتُ على عمر بن عبد العزيز أعودُهُ في مرضِه، فإذا عليه قميصٌ وسخٌ، فقلتُ لفاطمة بنت عبد الملك: ألا تغسلون له قميصه؛ قالتْ والله ما له قميصٌ غيره. وقال أبو أمية غلام عمر بن عبد العزيز: دخلتُ يوماً على مولاتي فغدتني عدساً، فقلتُ: كل يومٍ عَدَس؛ قالتْ: يا بني هذا طعامُ مولاك أمير المؤمنين. وقالتْ فاطمة امرأته: ما أعلمُ أنه اغتسل لا من جنابةٍ ولا من احتلامٍ منذ استخلفه الله حتى قبضه.

ولا تعليييييييييييق

إن التسامح خلق النفس الكبيرة، ولا يتسامح إلا من علتْ همته، واتصل مع ربِّ البريات يرجو رضاه، فكم من الأحكام أصدرناها تجاه الآخرين وسببت لهم جروحا ومعاناة؟ وكم كنا طرفاً في حديث أو فعل أورث الضغينة، وأشاع الفرقة فيمن حولنا؟ لذا فالتسامح يمنح النفس

إحساساً بالحرية الشخصية والأمن والسعادة، ويجعل صاحبه قريباً من خالقه ويتمنى رضاه، انظر إلى هذا الرجل الذي قيل عنه أنه من أهل الجنة فتبعه ابنُ عمر"ﷺ" ليعرف كيف بلغ هذه المنزلة ونيل شرف أن يبشره رسولنا الكريم بالجنة وهو على الأرض يحيا؟ وكانت إجابته في النهاية (غير أني أبيتُ وليس في قلبي حقداً لأحدٍ) ، هي تبدو بسيطة ومعقدة في آنٍ واحد، سلامة الصدر وحسن المقصد، فهذا الرجل سلم قلبه مع من حوله، فأقبل على ربه بقلب سليم.

والتسامحُ خلق سامي في الأنبياء والصالحين، فلا نجد بينهم من ينتصر لذاته، أو يغضب ممن أساء إليه، لكنه الغضب لله ولدينه فقط محور حياتهم،(الذين أمنوا لهم الأمن) وخلق التسامح لا سقف له، ولا من الأشياء التي يمكن تمامها، ويشبه الكثير من منظومة الأخلاق التي مهما نأخذ منها تزيد، وهي العملية المستمرة داخلنا والتي تستدرجنا مراراً لإصدار الأحكام على الأخر بتغليب روح الإيثار، والتماس العذر، والصبر بنية الأجر.

(أتبع السيئة الحسنة تمحها وخالط الناس بخلق حسن) يا الله انظر إلى لفظة الناس أي جموع الناس علينا أن نخالطهم بخلق حسن، أليس التسامح خلقا حسنا؟

(همسة) ...وقال الشافعي:

وكنْ رجلًا على الأهوالِ جلدًا .... وشيمتُكَ السَّمَاحَةُ والوفاءُ

وإن كثرت عيوبُكَ في البرايا .... وسَرَّك أَنْ يَكونَ لها غِطَاءُ

تَسَتَّر بالسَّخَاءِ فكُلُّ عَيْبٍ .... يُغطِّيه كما قيلَ السَّخاءُ

ولا ترجُ السَّمَاحَةَ مِن بخيلٍ .... فَما في النَّارِ لِلظْمآنِ مَاءُ

(شين) شعبٌ متدينٌ بطبعِهِ

.....

نحنُ شعبٌ متدينٌ بطبعه... هكذا علمونا ويكررونها، والدليلُ أن لافتة عمي بائع عصير القصب المسوس يُكتبُ عليها (وشقاهم ربهم سراباً طهوراً) فهو لا يفرق بين السين والشين؛ أما خالي صاحبُ المنْحل يبيعنا عسله المغشوش يكتبُ لافتة (فيه شفاء للناس) وربما قصد (فيه شقاء للناس) فسقطت نقطته عمداً، فمازلت حسن النية، وهو خالي الضمير وشقيق أمي التي تبيع الفجل على ناصية الحارة بجوار محل أخيها، وابن عمتي الحلاق الذي فشل في دراسته وتزوج بخريجة العلوم قسم بيولوجي فكتبَ على حانوته لافتةً مضيئةً باسم (وجوه يومئذ ناعمة)، ولا أدري أتخرج من عنده ناعمة أم ناعقة؟ أما فول وفلافل الصحابة ومطبعة المدينة المنورة وكشري يثرب وحاتي مكة وقهوة الحرمين ... فالعربات لا تستطيع الركون من زحمة العملاء لاسيما ليلة الجمعة التي تعمل فيها الصيدليات حتى الفجر لأجل الحبوب الزرقاء، ومعها حبوب عسر الهضم، فقد اخترعنا ألوف الأصناف لعسر الهضم، وفشلنا في اختراع ولو حباية واحدة لعسر العقل، وصار العلاج بالقرآن سبوبةً لا ينافسها إلا العلاج بالأعشاب وحبوب التخسيس، وفي كل مكان زحام حتى عند من يعالج السحر ويطرد الجان، زحام لا أعتقد أنك ستباهي به الأمم يوم القيامة يا رسول الله، زحام جميعه يدور في فلك بطنه أو فرجه إلا من رحم، زحام كغثاء السيل وأمراض ما سمعنا بها وتقطيع أواصر، بقدر ما نسينا الشَّرْعَ كَثُرَ رمي الأمهات والأطفال في الشوارع؛ فكان على أيامكَ شرعٌ واحدٌ، الآن صارت حياتنا شوارعَ؛ ورغم كل هذا فيكفينا إن لم يكن يزيد أننا شعبٌ متدينٌ بطبعه.

عذرا رسول الله فما عادت أمتك تجاهد لتحرير الأقصى أو فك الحصار عن غزة، أو غزو الفضاء؛ يكفينا القتال على نتيجة مباراة، والجهاد في المونديال، والابتهال على خشبات المسرح، وعندنا من الفضائيات ما يكفي ويزيد، ومدينة الإنتاج الشيطاني تعمل على مدار الساعة في الوسوسة، وأحالت إبليس وجنده إلى المعاش المبكر، والمجاهدة هيفاء طيب الله ثراها وثراءها لا تنال من الملايين إلا عشرين نتيجة كدحها في مسلسلٍ نسهر عليه بعد نوم النهار، ألسنا نصوم رمضان ونُسلِّي صيامنا بالفيلم؟ ونقيم الليل على الكاميرا الخفية والفوازير والمسلسلات التركية وفي أحسن الحالات على الفيس! وتتقلص

وجباتُنا ثم تتضاعفُ ميزانياتنا وندعي الفقر، ونسينا أن الفقر في العقول قبل البطون والجيوب؛ وهكذا حلت الهمجية حين غابت المنهجية بيننا.

عذراً رسول الله ... القدس تصرخ كما صرخت فيروز : القدسُ لنا والبيتُ لنا، ويتغني المشردون ليل نهار: سنرجع يوماً إلى حيِّنا، ربما يعيد الغناءُ القدس بعدما صارت حماس إرهابية، واعتادت غزة زرع الشهداء والنخيل، وغوطة دمشق هجرها الطير، وأطفالُ حَلَب لا حليبَ لهم، أما جامع دمشق فبات يصدح بالبارود وكان يصدح بالمنشاوي قيثارة السماء، وفارقت اليمن السعيد سعادته وصار البُنُّ أسودَ لا يحتاج إلى طحنٍ، فقد طحنه صالح والحوثي، وداعش والغبراء في العراق، والبسوس في مصر وأخرجوا آل بديع إنهم ....، ومات النداء الذي حفظناه صغاراً (ليبيا وحراير ليبيا) فكنا نستورد منها الحرير، والآن نستورد منها الحشيش والسلاح؛ ونتسول السيوف لزوم البلطجة والرقص بها في زفةٍ بلدي وليس لضرب أعناق العدو، فقد صار اليهوديُّ صاحباً وحبيباً! أما عدونا الحقيقي فالتراث والأئمة الأربعة، وهذا الذي يدعي البخاري، أما ابن تيمية وابن القيم فلابد أن يخرجا من قبريهما لنقيم عليهما حدي الردة والإرهاب، ناهيك عن رجعية الحجاب ووثنية النقاب؛ لذا لابد من مليونية خلع هذا وحرق ذاك، فقد كان عندنا قاسم أمين، الآن صارت مِصرنا قواسم ليست أمينة.

ألسنا شعباً متديناً بطبعه حين يسجد لاعبنا عقب تسجيل الهدف يدكُّ به شباك العدو؟ وكانت راية العقاب تُرفع في الغزوات، لسنا بحاجة إليها الآن فكيفينا أن نرفعها في الملاعب أو استقبال وافدٍ أجنبي، أو تستر عورة صافيناز حين تمتعنا بوصلة رقص في حفلات رمضان، والراجل لا يعيبه إلا جيبه... شعار الجيل الجديد إلا من رحم، ونسينا أو تناسينا " من ترضون دينه"، فلا ديناً حفظنا، ولا بيوتاً أقمنا؛ ومِن أمتكَ يا رسولَ الله بعضُ الناس عملهم الوحيد إطلاق لحاهم أو ألسنتهم، والجلوس بجوار مجموعة من الكتب والمساويك وزجاجات العطر المزورة، ويحفظ بعض الأحاديث عن إتقان العمل؛ ويسألك عن العقيقة والاعتكاف وينسى اسم جاره، بل ربما بينه وبين جاره أكثر مما كان بين المسلمين الأوائل وبني قريظة، المهم إسبال الثياب وإطالة اللِّحي وفرك الأسنان بالسواك... فهكذا التدين الممدرن والحداثة والوسطية، أما مقاومة الظلم والقتل والحرق فهذا هو الإرهاب، أمَّا ابنتي التي تجلس ليلها على الفيس تضع صور البنات المحجبات وتُصدع أدمغة الناس بوعظها ... يتقدم لها صاحب الدين الفقير العالم، والغني سيء السمعة وبلا علم، فتميل إلى مَن معه مال؛ وتدعي أنها صلت الاستخارة وهي أول مرة تسمع عنها، وتدعي التدين وغاية ما تعرفه فيلم رابعة العدوية؛ أو شاهدتْ مرة فيلم وإسلاماه.

صلى الله عليكَ وسلم يا سيدي يا رسول الله... "قلتَ لنا "اطلبوا العلم"، لكننا طلبنا فوانيسَ تغني وحوي يا وحوي، ورمضان جانا، ونظاراتٍ شمسية تقينا وهج الحرارة أثناء الطواف والعمرة، وموبايلات تصدح برناتِ أدعية الحرم، وسجادة تحمل البوصلة لتحدد لنا القِبلة، عفواً سيدي ...فطلبُ العلم عبودية، أما نحن فصرنا أمة استهلاكية عبوثية، وما بين عُبودية وعُبوثية ضِعنا وضاعتْ هيبتنا.

عـذراً رسـول الله فقـد اختزلنـا أحلامنـا في حقائـبِ الهجـرة وزهـدنا في حقائـبِ الكتـبِ، ونجهـلُ المعـارفَ وعقولنا حبلى بالمعازف، ونُقدِمُ رَغيفَ الخبز على رغيفِ الفكر؛ لذا أنيميا الفكر لدينا فاقت أنيميا البحر المتوسط، ونحارب بالملاعق والأواني ونسينا المقالع والأماني، ويعجبنا حليق الذقن الذي يأتينا من المدينة المنورة ويجلس حليق الفكر والعقل في مدينة الإنتاج الشيطاني يكفر عن عمرته أو حجته، وتتوقفُ الحياة لدينا حين تؤلمنا زائدتنا الدودية؛ ولا نهتم ولا نغتم بزوائدنا العقلية أو القلبية.

عذراً رسول الله... أكثر أمتكَ إلا من رحم لا يميز الشراب من السرابِ، ويتشدق بالحرية ويمقتها، ويدعي حبَّ النساء شعراً ويقمعها ويظلمها معايشة، ونسمع كثيراً عن أطول برج، وأكبر طبق للفول، لذا غاب فتيل الحبِّ واشتعل شرر الحربِ، فهذا مقدس وذاك مدنس، وبين هذا وذاك ضاعت هيبة الأمة، وانكسر وعاء الهمة، ويُسَبُّ صحابتكَ وتُعلن أمهات المؤمنين بداعي حرية الإبداع، أما من طال عِرض إلهام أو فنانة فمصيره الاعتقال أو الرجم، فانقلبت أمتك وأصبح شعارها... اعتقالُ الأفكارِ والعلماء، وحرقُ الكتب وإطلاق سراح الجهل، أما إكرام الميت فحرقه حتى الاشتعال، واستبدال المعارف بالمعازف، عذراً رسول الله فما كرهتُ في حياتي مثلما كرهتُ ... حضارة سبعتلاف سنة، وشعب متدين بطبعه.

صراع الماضي والمضارع والأمر

بقلم :أحمد الحارون

......

وأراد العمُّ كانون أنْ يغادرَ أوراقَ التقويمِ لأخيه يتردد في الأسماع، الكلُّ جداً مشغولٌ،
حفلاتُ ميلادٍ على أعتابٍ، وخليجي لا أعرف كم؟ يأخذنا يخطفنا، ونجهزُ راياتِ
الاستسلامِ بتعصب عفن بالخيبة.
امتحاناتُ الأولادِ تدقُّ البابَ لنعلمَهم كيف الغشُّ؟ فينشأ كلُّ مثلُ أبيه.
فجأة سمعنا صرخات.... آهات. الحقْ اجري لغة الضادِ ..تبكي تنادي ..بنتي هنادي
سألنا قالت: صبأ الأولاد، جحدوا الأعداء، يريدون توزيعي علي البنتين .
يا أتشق اثنين، يـ أروح يا أخواتي دار أيتام وألَّا مسنات.

وربتُّ على أكتافها، هدأتْ، أخذتها النشوة، هات هات .

نظرتُ إليها أغازلها، مؤنثةٌ هي، وقلتُ لها: أنتِ أم اللغات، لغةُ القرآن، لغةُ الجنات.

ردَّتْ بتأفف: أنتم يا **غجر، قصدي يا عرب** (ليس لكم إلا في الغزلِ والنساء) .

أخذتُ بنقطتها حتى لا يلمس إصبعٌ مني نهديْها، **فأنا مازلتُ علي وضوءٍ.**

أردتُ معاتبةَ الأولادِ: هذه أمكم التي.. ولم أكمل، وانفجر الكلُّ يندبون حظوظاً.

ما لنا وسجن النحوِ والبلاغةِ والإملاءِ؟ هل كُتبَ علينا أن نحيا في أصمعي وعنترة والزجاج؟

كفانا معلقات، وكفانا المربد، فالكلُّ يعربد . فقد تهُنا في الخليل ويافا والمقفع والحجاج.

نريد أن نغادرَ ابن جني ونذهب للجنيات، طرقتُ بيدي لابد من عاجلةٍ قمة، نتصالحُ نتشاورُ، ننقذ غزةَ لغة الضاد . وبسرعةٍ طار الخبر في كلِّ الأوساطِ. **ووسطنا أفضلُ من يهتز.**

وهناك في جزيرةٍ وراءَ الأفق، لا يُرى مكانُها على خريطةٍ إلا بالكاد .الكلُّ يهرول، حركاتٍ ومواقفَ تصورها العدسات .

–**وقفتْ همزة توحي بلمزة:** أنا أنا أصلُ الأخطاءِ، والكلُّ يبحثُ عن كرسيّ يتسعُ لسمنةِ أوداجه، ويغطُّ فيه بسباته. والحالُ غيرُ بعيدٍ منصوباً، بل مشنوقاً، يتأوه ينزف فلا أحدٌ يأبه. وبغزةَ نسينا مفعولاً لأجلِ الأمةِ محصوراً، يجوع ينادي، علَّ صيحاته قد تُسمع.

. وعلي مكثٍ وتداني ، أصواتُ شعوبٍ تمييزاً، وقفت تمثالاً منصوباً، تستجدي عطف الذلِّ مزيداً،

فهي فيه ومنه لا تشبع، تتنفسُ مراحيضَ هواء .

وقبل انعقاد القمة نسمعُ طرقاتٍ على مِنضدةِ الكذب تستر عوراتٍ ظاهرةً وتقول :

سكوووون.

. تنتبه المسكينةُ سكونٌ مذعورة، فهي دوماً علي الأفواهِ دائرةٌ، بل خاتمةٌ، أو تقرضُ ألسنةً كالدودة،

في الأمر تراها تستفحل، بل تستعجل قانونَ طوارئ ممدودا.

. وعلى بابِ خيمةٍ في براري، تنطقُ بجهلٍ وجواري، وقفت حروفٌ ناسخةٌ، لا لا بل

منسوخة، لا تسمع من فِيها فـ تفهم. وتصدرَ بعد سكونِ المجلسِ أصلُ الحركاتِ:

ـ الضمةُ قالت :من منكم يحظى بمكانتي، أنا أم الدنيا، أدلُّ علي الفاعل، والفاعلُ من يكدحُ يتعبُ يحررُ ويحارب، وله السبقُ في الغزواتِ، حتى في الفعلِ ظاهرةٌ، لا أحتاجُ مساعدةً من حرفٍ أو نفطٍ أو ريالات. من غيري منكم يجرؤ أن يدخلَ على (نستنكرُ ونَدينُ ونشجبُ؟)

وقف نائبها ألفٌ ونظيفٌ منتصباً منتشياً، ووراءه واوٌ بسرورٍ متورمة الوجنات.

ـ الفتحةُ قالت :وأنا للنصبِ علامةٌ، وبدوني لا سلطةٌ ولا رؤساءُ ولا أمراء، وتنوب عني ياءٌ معوجة توحي بنتائج انتخابات، وكذلك حذف النون يدل على حذفِ العامةِ من أذهانِ الأمراء .

وفي الماضي أنا أظهر، ألا يكفي أن تنطق.... انتصرَ صلاحُ الدين في حطين؟ كانت عين جالوت... ونسيت. لا بأس فأنا لم أتعلم من التاريخ، وفي الحديث النبوي قالَ رسولُ الله، من منكم يا حركات حظي بمكانةٍ كهذه؟ أنا رمزُ الزمن الجميل، كان وكنا والنعرات.

ـ والكسرةُ جاءت مكسورةُ الخاطرِ على استحياءٍ قائلةٌ: قاتلكم الله ألستُ منكم غير أني أسفلُ الخريطةِ، أقصد أسفلُ الكلمات، أيعيبني أني اتخذتُ راية بني العباس لجلدي شعاراً، وأنا أتعب وأجرُّ كل الأشياء، وأنا صنو الفتحةِ ينوبُ عني السحل، أسفةٌ الحذفُ والياء . أنا رمزُ الفقراءِ مكسوري الإرادةِ مسلوبي الجنان .أنا الكسرةُ يشتهيني كلُّ الرؤساء، ومعاولُ الهدمِ والتحرر والتبعية في أيديهم من اختراعي متى أشاء.

ـ فتحينتْ الأسماءُ الخمسةُ الفرصةَ وقالتْ في خبثٍ ودهاء : ولماذا لم يُكسَرُ لغزةَ حصارٌ حتى الآن؟

ردتْ كسرةٌ من الكسرات: غزة ممنوعة من الصرف، قصدي من الكسر وفيها حماسٌ زائدٌ جاء بشرعيةٍ، لا غش ولا تزوير ولا إرثيات، فلابد من استئصاله إما بالتجويع أو بالمعونات، وصناديقَ ريالاتٍ مختومة بعدم الصرف، ونحن ننتظر حتى تُهدمُ ثم نعقدُ للاعمارِ مؤتمرات.

ـ وفجاة دوى في القاعةِ صوتٌ مبني للمجهولِ، بلغةٍ غير الضادِ يقول : اللغةُ في تركيب

الأمةِ كعصير الشجرةِ وعقلها الخفي، لا يُرى ولكنَّ الشجرةَ كل عمله، تخلقُ في الوطنِ معنى الأهلِ والدارِ .

ويا أيها الماضي لا تمنن تستكثر أنت وفتحتك علي أخواتك الحركات، بأن كنت في حديث رسول الله، فاعلم يا هذا بأنه قال وجسد وفعل؛ فينشأُ للأمةِ كيانها الروحي الذي يستمدُ قوته من ذاته، لا من غيره لا من معونات. فعمق اللغةِ يعني عمق الروحِ، والخُلقُ يجعل الأمةَ طبقةً واحدةً علي اختلاف مظاهرها، يخلق فيها ضمير الشعب الذي يحكمه. خلقُ الأمةِ هو بنيانها فإذا اختل، اختلتْ هندستها الاجتماعية، وتصبح مفعولة آيلة للسقوط .

فأفسحوا المجالَ لذوي الضمير الأبيض بحماسهم الملتحي بالصدقِ، ومعهم ألف الاثنين وواو الجماعة .

ـ فدوى المجلس الله الله !هذه والله خلاصة بحماسٍ صارتْ رصاصات.

وتناثرتْ قبلاتُ النفاقِ وأحضانُ المصالح وتعانق المختلفون، وجاءت بحور الشعر غير الموزونة وتفعيلاتها المكسورة، لتدق الأوتاد والأسباب، وتصور بالعدسات كلماتها المنتفخة كانتفاخ من يصورونهم .

وانفض المجلس وتركوا أمة الضادِ في سباتها العميق، تسمع لشخيرها زفيرا وشهيقا، وبيدها تتثاءب ـ لتذب ذبابةً وقفتْ ـ علي فِيها.

(ضاد) ...ضعف واستسلام

....

المعانقة بين ذئبٍ وشاةٍ، لا يخرجُ منها عهدٌ...بل معنى نكث العهدِ في كل آن، ونقض الشرطِ في كلِّ شرطٍ، هى الهبوطُ المسمى نهضة، وهي الاستسلام المسمى سلام، وهى كسوة الذلِّ على عوراتٍ فجةٍ مكشوفةٍ ، كلما سترتها ازدادتْ تعري. فلا يمكنُ أن يدومَ سلامٌ بين الذئب والشاة، ولا الثعلب والدجاج، ومثلهما بين مسلم ويهودي إلا إذا نبع من أركان أربعة ثابتة: إرادة قوية....وخلق كريم...وحب الجهاد...ورابعهم صبغة أو سمت أو طبع الأمة الذي يميزها عن غيرها. وحين نهادنُ العدو، ونتخلى عن فريضة الجهاد، وحين يتصابى شيوخنا ويقيمون في التكييف ويُنقلون بين الفضائيات، حين نقلدُ الغربَ في أدرانه فقط، ولا نقلده في جده واجتهاده وبحثه العلمي الذي لا ينقطع، حين نستوردُ مفاسد الغرب ونصبُّه في شبابنا صبّاً....فإننا هاهنا نصبُّ مخلفاتٍ وأقذار مدينةٍ كبيرة في نهر عذبٍ صغير، فلا يبقى النهر نهراً، ولا ما يحويه يتسم بالعذوبة...وهنا تغيب النخوةُ والقدوة والشهامة في قاعه، وتتجلى على سطحه أضدادها فيتحلى بها الفجرة وأشباه الرجال.

فلا الدين بقى فينا أخلاقاً، ولا الأخلاق بقيت فينا ديناً، وأصبحت الشرقية والأصالة التي كنا بهما نتشدقُ ونتغنى ونعتبرهما ميزتين....الرجعية والتخلف من كلِّ الوجوه سواء في الروح أو الذوق أو العقل الجمعي لمجتمعنا، ويصبحُ قادتنا حمقى يحاولون أن يؤلفوا للأمة خلقاً جديداً، فنجاهرُ ونقولُ أنَّ: (....)قطعة من أوربا، فهذه جملة في ظاهرها المدحُ والحمد والثناء، وفى باطنها الندم والفساد والبلاء .

حين يعاهدُ اليهودي المسلم ويدخل معه في سلامٍ ...هي نفسها معاهدة الثعلب للدجاج، نصدق ونصفق تماماً كالدجاج حين يصدق أن الثعلب حج وتاب ويصلي، وسيقلع عن اغتيال فراخه، فتبّاً لنا.

فلا نهضة لأمة العرب إلا بـ الإسلام وإعلاء روح الجهاد وفضيلته، والاعتزاز بتراثنا واللغة العربية، فالإسلام مجموعة أخلاق قوية ترمي إلى شدِّ الجميع من كلِّ جهةٍ، هي خاصية الدفع وسنة الله في أرضه، لولاها...تُهدم الصوامعُ والبيع والصلوات، ومنظومة الأخلاق في الأمة

الإسلامية هي محاربة الفضيلة للرزيلة وانتصارها عليها، وهى إعلان روح السمو والجهاد، وذوبان الذات في الجميع، ليحيا خُلق الأمة، وتتسق وتنسجم منظومة الجماعة، التي هي دعامتها وأساسها، وتذوب روح الفردية والأثرة والأنا.

فخلقُ الإسلام يكره لأبنائه حياة الترفِ والزينة والمجون، والاسترخاء والمغالاة في الغناء والموسيقى، وستار أكاديمي والتوك شو، بل قد يكون فيها ما يحرمُ حين نجدُّ سبباً لتحريمه، وإذا كانتْ معاولُ سقوط أخلاق الأمة (كأس ..وامرأة...ووتر+ معاهدة) فهذا يكفى لسقوط أي دولة مهما كانتْ عظمتها، فما بالنا بخيالٍ شعري فاسد، وأساطير ألف ليلة وليلة، وشباب صار يسمع بعينيه لا أذنيه على عوراتٍ فجة، وكليبات تشمئز منها الأفئدة والذوق والفطرة السليمة، وتفتن وتزين وتوهج فيما بين القوسين، وأضف إلى ما سبق الخمر والفجور والقمار والكذب والنفاق والرشوة.

ماذا بقى من أخلاق الأمة؟ لابد من تغليبِ روح الإيثار، ونبذ الرياء والأثرة، ونكران الذات لأجل أن يحيا الكلُّ في مجتمع آمن، فإذا أردنا لأمتنا أن تنهضَ لابد من محاربة التخنث والتبرج والسفور، وعدم الاستهانة بالمنكرات والمجون والسخف والخنوع، ولابد من أخذ أسباب القوة ومعها منظومة أخلاق متينة تتكاتف فيها كل مؤسسات الدول والمجتمع المدني، ولابد من إحياء روح الإقدام والجهاد والفروسية، وجعلها صبغة تميزنا عن سوانا.

لو كان المسلمون إخوة ...كانت المبادئ والمنافع والدوافع واحدة، وكان كتابهم منهج حياتهم، حتماً ستكون منظومة الأخلاق واحدة، وسيُقاوَمُ كلُّ غثٍّ، وسيذهبُ الزبد جفاء، وما ينفع الناس يمكث في الأرض. أما الآن تتكالب علينا الأمم كما تتكالبُ الأكلة على قصعتها، لاعن قلةٍ، بل عن كثرة، لكن كثرة يُغلِفُ قلبها حبُّ الدنيا وكراهية الموت، وهذا هو الداء العضال، وعلينا أن نسعى لمداوته، ولا دواء بغير أخلاق، ولا أخلاق بغير دين. ومن لباب الدين أن يحاول كل منا أن يقتلَ جهلاً، ويسدَّ جوعاً، ويمسحَ دمعةً، ويربت على ظهر يتيم أو يعين أرملة، فالعملُ الصَّالحُ أطهرُ صلاةٍ، وقيل: "إن الشعوبَ الإسلامية والبلاد العربية ـ مع الأسف ـ ضعيفةُ الوعي إذا تحرجنا أن نقول: فاقدة الوعي، فهي لا تعرف صديقها من عدوها، ولا تزال تعاملهما سواء، أو تعامل العدو أحسن ما تعامل الصديق الناصح، وقد يكون الصديق في تعبٍ وجهادٍ معها طول حياته بخلاف العدو، ولا تزال تُلدغ

بجُحر واحدٍ ألف مرة ولا تعتبر بالحوادث والتجارب". وصدق قول الشاعر حين يرثي حالنا قائلاً:

أحلَّ الكفرُ بالإسلام ضيماً .... يطول به على الدين النحيبُ

فحقٌّ ضائعٌ وحمىً مباحٌ .... وسيفٌ قاطعٌ ودمٌ صبيبُ

وكم من مسلمٍ أمسى سليباً .... ومسلمةٍ لها حرمٌ سليبُ

وكم من مسجدٍ جعلوه ديراً .... على محرابه نُصِبَ الصليبُ

دمُ الخنزير فيه لهم خلوقٌ ....وتحريقُ المصاحف فيه طيبُ

أمورٌ لو تأملهن طفلٌ .... لطفل في عوارضه المشيبُ

أتُسبى المسلماتُ بكلِّ ثغرٍ ..... وعيش المسلمين إذن يطيبُ

أما والله للإسلام حقٌّ .... يدافع عنه شبان وشيبُ

فقل لذوي البصائر حيث كانوا ..... أجيبوا الله ويحكم أجيبوا

فكفانا للغرب تقليداً، بل يكفينا منه ويزيد أن نقتبسَ من حضارته ما يفيدنا، وذلك بعد روية وتمحيص وتحقيق، لأن التقليد لا يكون طبيعة إلا في الطبقات المنحطة، وصناعة التقليد ما أضرها على أي مجتمع! فمن المخترعات الحديثة نأخذ لا من أهواء وزخرفة المدنية الهوجاء، وفنون الخبث في السياسة، نأخذ ما يتفق مع آدابنا وأخلاقنا ولا نأخذ من الفنون والآداب خرافاتهم وخيالاتهم.

ويبقى الشرق شرقاً والغرب غرباً، ويبقى المسلمُ مسلماً واليهودي يهودياً.

(طاء) طاغية

....

الآنَ فهمتُ أكثر من ذي قبل أن البعضَ من المصريين لايزالُ بهم بقيةٌ من فرعنة قديمة، وبينهم وبين اليهودِ وشائجُ كامنةٌ بحكم المعاشرة قديماً، تحتاج هذه الوشائجُ لمجرد الضغط عليها فتطفو على سطح السلوك، أو هي كامنة في النفس كمون الطيب في العود، فإذا ما اتصل العود بالنار فاحتْ رائحة الفرعنة وانتشرت، فـ فرعون استخف قومه لا من قوته هو، بل من فسقهم هم، "فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين"، فحين يسيطر الفسقُ تفسد الفطرة السليمة لدى المرء وتكون ملكاته مستعدة لاستقبال ما ينافي العقل والمنطق والدين والإنسانية. فمنذ القدم نجد الإنسانَ يبحث عن الطوطم، وهذا الطوطم قد يكون رمزاً لقبيلة أو فئةٍ من الناس، ثم مع مرور الزمن نجد أهل هذه القبيلة تعبد وتقدس هذا الطوطم، وهذه الطوطمية ظهرت جليّاً أبان الحقبة الجاهلية وانتشار عبادة الأصنام ، فما بين العلة والمعلول، والتابع والمستقل نجد الارتباطَ وثيقاً، فلما كان أهل مصر(أيام فرعون) فاسقين ويبحثون عن طوطمهم وجد فرعونُ ضالته، فقال لهم: " أنا ربكم الأعلى"، وأعان فرعون على ذلك وزراؤه وقارونه وهامانه، حتى قال لهامانَ: " فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ"، فحين نجد الحاكم الظالم لابد أيضاً من وزراء وبطانة فسدة على شاكلته، فيزينون له الكذبَ أنه الصدق، ويبررون له القتل ليمنع الفساد أو يحافظ على الأحياء، وأعوان الظلمة كُثرٌ في كل صعيد ومحفل، فيروى عن الإمام – أحمد بن حنبل – حين كان مسجوناً في محنة (خلق القرآن)، قال له السجان: هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال له: لا، لستَ من أعوان الظلمة، إنما أعوانُ الظلمة من يخيطون لك ثوبك، ومن يطهون لك طعامك، ومن يساعدك في كذا، أما أنتَ فمن الظلمة أنفسهم. ورُوي أيضا أنه جاء خياطٌ إلى سفيان الثوري فقال: إني رجل أخيط ثيابَ السلطان، هل أنا من أعوان الظلمة ؟ فقال سفيان: بل أنت من الظلمة أنفسهم، ولكن أعوانَ الظلمة من يبيع منك الإبرة والخيوط !!.. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد قال غير واحد من السلف أعوان الظلمة من أعانهم ولو أنهم لاق(أي ناول) لهم دواة أو برى لهم قلماً، ومنهم من كان يقول بل من يغسل ثيابهم من أعوانهم، فان المعين على البر والتقوى من أهل ذلك، والمعين على

الإثم والعدوان من أهل ذلك".(1)

فاحذر أخي أن تكون من الظلمة أو تركن إليهم ولو شيئاً قليلا، فما يحدث في مصرنا وسورية الحبيبة الآن فتنة حالكة، الناجي منها من نجاه الله، أما من فوض وأيد واستهان بالقتل فهو لا محالة في الجرم مشاركٌ. قال المروذي :لما سُجنَ أبو عبد الله جاءه السجان فقال له يا أبا عبد الله: الحديث الذي رُوِيَ في الظلمة وأعوانهم صحيح؟ قال : نعم ، قال السجان : وأنا من أعوان الظلمة ؟ قال له أبو عبد الله : أعوان الظلمة من يأخذ شعرك ويغسل ثوبك ويصلح طعامك ويبيع ويشتري منك ، أما أنت فمن الظلمة أنفسهم. وفي عصور الطغاة نجد الخطب الجوفاء، فيصير الكذب أصلاً ويُبنى عليه، ويُعمل به، ، والحاكمُ الطاغيةُ فى دولةٍ ضعيفةٍ جاهلةٍ يظنُّ نفسه المشيئة المطلقة المنقذة التي لا تُخطيء، فيفسد ويظن فساده إصلاحاً فنصفق له، حماقته لدى شعبه منتهى الحكمةِ فنرددها كببغاءَ دون فهمٍ، شعوذته ضرباً من ضروب النبوة التي يُوحى إليه بها، ولا معنى في عقله إلا حبل من مسد، لذا يشنقُ من يخالفه الرأي، ولا يعرف من القرآن إلا معنى.. وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد وردعا لمن عصى، " سجنهم أحبَّ إليَّ مما يعارضونني فيه" ، فالطاغية لو أمره الله ليعصي الله فينا، ما أطاعه بهذا القدر، وهو يأمره أن يقيم العدل فينا، فلا غرابة أن تجد المقتولَ مداناً، فيقولُ الفاسق: لماذا ذهب لمكان القتل، وكان من الأولى أن يقول للقاتل: لماذا قتلتَ؟ فالحق يبقى حقَاَ وإن آمن به قلة، والباطل يبقى باطلاً وإن كان معتنقوه كثرة، فهذه سنة الدفع التي سنها الله لعباده، فالحق والباطل يتدافعان إلى قيام الساعة.

أما بنو إسرائيل بعدما أنقذهم الله من فرعون وبطشه وجبروته، وبعد ما رأوا الآيات يحنون إلى ماضيهم وفساد فطرتهم فيقولون: "اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" فالجهل أخو الكفر في أوقات كثيرة، لكنها الفطرة حين تنتكس، تقدس العجل، أو ربما الطوطمية الكامنة في النفس تطفو على السطح، ولا غرابة أن نجدهم وبعد أن منَّ الله عليهم بأطايب الطعام تتوق أنفسهم لأدناه،" أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ"، فهذا يكاد ينطبق على واقعنا الأليم، وأظهرته جلياً شهور ما بعد الانقلاب العفن، فلا نجد إلا غثاءَ القوم يطفون على سطح الانقلاب ويصدعوننا في فضائيات قميئة، أما شرفاء الوطن وأحراره فمن نجا منهم ففي غيابات الجب وخلف قضبان السجون، ولذا لا يعتبر كلُّ طاغية

اليهودَ أعداءه، لأنهم على شاكلته، فاليهود يقتلون المسلمين، والطغاة يقتلون شعوبهم، فتباً لكليهما.

.....

1 - (مجموع الفتاوى، الجزء 7، صفحة 64).

ظاء(ظلال آية)

....

إذا سألتك هداك اللهُ أيهما تفضلُ الدنيا أم الآخرة؟ قد تُجيبُ ولك حقُّ الإجابةِ....لكن إنْ كنتَ تريد الدنيا فهذا حقك وشأنك، أما إن كنتَ تريد الآخرةَ فهذا يدفعنا إلى أن نعقبُ...هل أفعالك وأقوالك وسلوكك تدلُّ على أنك من مريدي الآخرة؟ وكيف تعرفُ أنك أخي الفاضل من أهل الدنيا أو من أهل الآخرة؟ الإجابة بسيطة وأنت من تُجيبُ على هذا السؤال، ربما تبادرني القول ...وكيف أعرف ذلك؟

أقولُ لكم وبالله التوفيق...أن النفس الإنسانية مجبولةٌ على حبِّ الأخذِ والتملكِ.... فإن جاءكَ من يعطيك تنشرح أساريرك وتبش في وجهه، وتعتبره من المفضَّلين لديك بل كثيراً ما تقومُ لتجلسه مكانك إن لم يتسع المقام، والعكسُ تماما يحدثُ إنْ جاءك من يأخذُ منك تنقبضُ أساريرك وربما عبست في وجهه، وتخشى أن يسألك ثانية وتتوقع أن يُخلي لك المكان مادام ضيقاً، فلك عليه يدٌ، فإن كنت تسعد بالأخذ أكثر من سعادتك بالعطاء فأنت دنيوي النزعةِ، وإن كنت تسعدُ بالعطاءِ أكثر فأنت أخروي النزعة وفيها يدور فلكك، وقد كان السلفُ الصالح قديماً حين يطرقُ بابه سائلٌ يبشُّ في وجهه ويقولُ له: أهلا بمن جاء ليغسلَ ذنوبي ويسوقني إلى الجنة، والآن أعودُ أدراجي ....فمن كان يريدُ الدنيا حقّاً لازوراً وزيفاً فعليه بالقرآن، ومن كان يريدُ الآخرة فعليه بالقرآن، ومن كان يريدهما معاً فعليه بالقرآن، والمقصود والله أعلم ...أنْ يلزمَ القرآنَ قولاً وفعلاً وسلوكاً ومنهجاً وخُلُقاً يتجسدُ، وحين سُئلتْ أمنا عائشة ﵂ عن أخلاقِ النبي ﷺ قالتْ: كان خُلقُهُ القرآن، ولابد للمسلمِ أن يتعلمَ ويبذلَ الجهدَ والطاقةَ لكي يكونَ مُلمّاً بالحدِّ الأدنى بعلوم الدين، وهذا والله أعلم فرضُ عينٍ على كلِّ مسلمٍ ومسلمة، والقرآن أخي الفاضل كلما زدته فكراً زادك معنى، ومن أجملُ ما قرأتُ عن ابن تيمية رحمه الله أنه قال: لم أندم في حياتي على شيء قط إلا على أنني لم أتعلم القرآن وأنا الذي قرأتُ في كلِّ آيةٍ أكثر من مائة تفسير، فإن كان ابنُ تيمية يندم ويصفُّ نفسه بأنه لم يتعلم القرآن وهو من هو! ويعلمه الجميع، فبالله عليكم علام نندم نحنُ؟ وبم نصفُّ أنفسنا؟ يا إلهي!! كم كان ابن تيمية فذّاً في علمه وسلوكه وكل حياته، وكلمته بمثابة سياط تلسع جهلنا وتُزيفُ الأقنعة التي نداري بها جهلنا، وقد حوى قرآننا بين دفاته آيةٌ

شملت مطالب العباد الأربعة :(الشرُّ المستعاذُ منه نوعان)إما موجود يُطلبُ رفعه ،وإما معدوم يُرجى بقاؤه على العدم، (والخيرُ نوعان) إما موجود يُطلبُ دوامه وثباته، وإما معدوم يُرجى وجوده، فهذه الأربعةُ تتجلى فيها مطالبُ السائلين من ربِّ العالمين، وجاءت كلها فى نهاية آل عمران(ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا) فهذا الطلبُ لرفع الشر الموجود، فالذنوبُ والسيئاتُ شرٌّ، ثم قال(وتوفنا مع الأبرار) فهذا طلب لدوام الخير الموجود فهذان قسمان، ثم قال(ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) فهذا طلبٌ للخير المعدوم.. يسألون الله أن يؤتيهم إياه، ثم قال(ولا تُخزنا يوم القيامة) فهذا طلبٌ أن لا يوقعَ بهم الشر المعدوم وهو الخزي يوم القيامة، فحوت الآيتان المطالب الأربعة، فقدم اللذين في الدنيا وهما: المغفرة ودوام الإسلام حتى الموت، ثم تبعهما اللذان فى الآخرة وهما أن يُعطوا ما وعدوه على ألسنة الرسل وألا يخزيهم يوم القيامة.

هذا والله من وراء القصد وهو أعلى وأعلم.

(عين) عُلماءُ وعَوَالِمُ

...

البونُ شاسعٌ بين التربية وبين التعليم، فهدفُ التعليم هو إيصالُ المعلومة إلى المتلقي واستيعابه وفهمه لها دون النظر إلى تطبيقه أو عدم تطبيقه لمقتضاها، أما هدفُ التربية فهو إيصالُ المعلومة مع الممارسة المستمرة لمقتضاها وما تدل عليه في الواقع العملي حتى تنشئ في ذات المتلقي أثراً دائماً ينتج عنه تغيُّر في سلوكه. فلا تكفي المعرفة النظرية بالقيم والأخلاق لكي تصبحَ واقعاً وسلوكاً في حياة المرء، بل لابد من أن يتربى عليها ويمارسها واقعا وتطبيقاً، ومن هنا يأتي دور المدرسة وأهميتها في حياة المسلم كونها بيت ومستهدف التربية المعرفية والخلقية، وهي محل التقويم والتقييم وتعديل السلوك وتوفر القدوة، وأهم حلقات منظومة الحياة ...المعلمُ والعَالِمُ والقاضي. وشرُّ الناس هم العلماء والمعلمين ما لم تكن أخلاقهم وسلوكهم دروساً حية للفضيلة والصدق وقول الحق في كل موطن. وقوة العالم أن يعملَ وجوده فيمن حوله أكثر مما يفعل هو نفسه، كما أن الأمراض المعدية تعمل فيمن لامسها أو اقترب منها، فالعالم القوي المتصل بالله حين يقف في وجه الظلم تنتشر قوته بالعدوى فيمن حوله ... ففعل العالم الفاضل في الناس أقوى من قراءة ألف كتاب في الفضيلة، كما أن سلوك المرأة العفيفة أمام مرمي العين والبصر يكفي ويزيد عن قراءة الكثير من كُتب العفة. وسيظل التاريخ يذكر ويسجل مواقف رائعة لعلماء دارت الأرض حولهم إجلالاً وتعظيما لصنيعهم، فهذا ابن حنبل لا يترخص رغم كبر سنة وشدة العذاب عليه في محنة خلق القرآن، ورفعه الله في أعين العلماء من مشايخه فضلاً عن تلاميذه، ووهبه الله من كلِّ باب من الفضائل فله في كلٍّ نصيبٌ ..في الزهد إمام يُشهد له، وفي الورع يقارن بكبار الأمة، وفي الجرح معتدل، وفي الفروع فقيه. وهذا سعيد بن جبير كان وعاءً من أوعية العلم، فعن خصيف قال: كان أعلمهم بالقرآن مجاهد وأعلمهم بالحج عطاء وأعلمهم بالحلال والحرام طاووس وأعلمهم بالطلاق سعيد بن المسيب وأجمعهم لهذه العلوم سعيد بن جبير، ويقول ميمون بن مهران: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض رجل إلا يحتاج إلى سعيد، ولو لم يكن من تاريخ سعيد بن جبير إلا مشهد موته وحواره مع الحجاج لكفانا وزاد وفاض ... لنتعلم منه كيف كيف يكون العالمُ متصلاً بربه واثقاً في نصرته غير مكترثٍ بحاكم ظالم مهما بطش وتجبر، وحين أدخله جنود الحجاج على الحجاج سأله فقال: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير. قال: بل أنت شقي بن كسير.

قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك، قال: شقيت أنت وشقيت أمك، قال: الغيب يعلمه غيرك. قال: لأبدلنك بالدنيا نار تلظى. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا. قال: فما قولك في مُحَّد ﷺ؟. قال: نبي الرحمة إمام الهدى. قال: فما قولك في علي في الجنة هو أم في النار؟ قال: لو دخلتها فرأيت أهلها عرفت. قال: فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل، قال: فأيهم أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي. قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عنده، قال: أبيت أن تصدقني، قال: إني لم أحب أن أكذبك، قال: فما بالك لم تضحك، قال: وكيف يضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار؟ قال: فما بالنا نضحك؟ قال: لم تستوِ القلوب، قال: ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وجمعه بن يدي سعيد. فقال: إن كنت جمعته لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جُمع للدنيا إلا ما طاب وزكا. ثم دعا الحجاج بالعود والناي فلما ضُرب بالعود ونُفخ في الناي بكى. فقال الحجاج ما يبكيك هو اللهو؟ قال: بل هو الحزن أما النفخ فذكرني يوم نفخ الصور، وأما العود فشجرة قطعت من غير حق، وأما الأوتار فأمعاء شاة يبعث بها معك يوم القيامة. فقال الحجاج: ويلك يا سعيد. قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار. قال: اختر أي قتلة تريد أن أقتلك؟ قال: اختر لنفسك يا حجاج فوالله ما تقتلني قتله إلا قتلتك مثلها في الآخرة؟ قال: فتريد أن أعفوا عنك؟ قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر؟قال: اذهبوا به فاقتلوه. فلما خرج من الباب ضحك فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده. فقال:ما أضحكك؟ قال: عجبت من جرأتك على الله، وحلمه عنك، فأمر بالنطع فبسط فقال: اقتلوه. فقال: "وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض". قال: شدوا به لغير القبلة.قال: " فأينما تولوا فثم وجه الله". قال: "منها خلقناكم وفيها نعيدكم". قال: اذبحوه. قال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة، ثم دعا الله سعيد وقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي فذبح على النطع... فما مكث بعده سوى أربعين يومًا حتى قصمه الله عز وجل. وما أمر العز بن عبد السلام منا ببعيد، فلا يُذكر العز بن عبد السلام إلا وتُذكر الهيبة التي يهبها الله للعاملين المخلصين من عباده، لا يُذكر العز (رحمه الله) إلا وتُذكر معه الجرأة على كل مخالف لشرع الله، مهما علا مكانه،

وارتفعت بين الناس مكانته. ولما ذهب الشيخ أبو الحسن بنان الحمال إلى ابن طولون يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر وقد اشتد بطشه، أمر ابن طولون أن يُلقى الشيخُ للأسد، أسد أغلظ ما يكون في قفص يفتح من أعلى ويوضع له الشيخ، فما لان الشيخ ولا انتكس ولا شارك في انقلاب ولا فوض في قتل ولا أخذ بالرخصة، ولا هادن السلطان الجائر، فـ يا برهامي سموك ياسر تيمناً ولم تأخذ من سيرة ياسر شيئاً، يا برهامي خاف الشيخ من الله فأخاف الله منه الأسد، يا برهامي حين وقف الشيخ في وجه السلطان الظالم نسي الدنيا الفانية فرآه الأسد الجائع كهالة من نور وليس رجلاً من لحم وعظم، يا برهامي لما انصرف الأسد عن الرجل ونام بجوار الشيخ الواقف سأله ابن طولون: ما الذي كان في قلبك وفيم كنتَ تفكر وأنتَ داخل القفص مع الأسد؟ أجابه الشيخ: لم يكن عليَّ بأس، وإنما كنتُ أفكر في لعابِ الأسد أهو طاهر أم نجس؟ يا برهامي تحل التصويت على دستور لقيط وتروج له وتدعي أنه كأكل الميتة، يا برهامي تتنكر من دستور الاستبضاع وأنتَ أحد آبائه وأولى بك أن تتبرأ وتتوب من سوء فعالك، فأنت لا تمثل إلا نفسك، ومن حولك لا يزيدون على أصابع اليد الواحدة، واسأل عنهم أمن دولتك، يا برهامي أنت وثلتك القليلة أسأت إلى السلفية في أيام أضعاف ما أحسن إليها غيرك في عقود، يا برهامي: لو قلت كلمة حق الآن وأظنك لن تقول فلن يرميك الانقلاب في قفص مع الأسد، ربما يلقيك وعلى أقصى تقدير خلف زنزانة مع رجال نحسب أقلهم أفضل عند الله منك ولا نزكيهم على الله، بل الله يزكي من يشاء، أما الطيب وجمعة وكريمة ومن دار في فلكهم فلا نعيب على ذبابٍ آثر البِركَ على الماء العذب، وفضل التِّيهَ عن دخول الباب، ولا نقول إلا: لعل الله يخرج من أصلابهم..... لذا فلا يستحقون الكلام، رد الله أبعدنا عن الصواب للصواب...اللهم آمين.

وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ" "

.. والركون هو الميل والسكون والمودة والرحمة، والركون أيضاً يعني: المجاملة، وإعانة الظالم على ظلمه، وأن تزّين للناس ما فعله هذا الظالم، وآفة الدنيا هي الركون للظالمين؛ لأن الركون إليهم إنما يشجعهم على التمادي في الظلم، وأدنى مراتب الركون إلى الظالم ألا تمنعه من ظلم غيره، وأعلى مراتب الركون إلى الظالم أن تزين له هذا الظلم؛ وأن تزين للناس هذا الظلم. وإسقاط هذا الكلام على الواقع يعني أن أهل مصر كلها ظالمون إلا من رحم. اللهم عفوك.

وأنت إذا استقرأت وضع الظلم في العالم كله لوجدت آن آفات المجتمعات الإنسانية إنما تنشأ من الركون إلى الظالم؛ لكنك حين تبتعد عن الظالم، وتقاطعه أنت ومن معك؛ فلسوف يظن أنك لم تُعرْض عنه إلا لأنك واثق بركن شديد آخر؛ فيتزلزل في نفسه؛ حاسباً حساب القوة التي تركن إليها؛ وفي هذا إضعاف لنفوذه؛ وفي هذا عزلة له وردع؛ لعله يرتدع عن ظلمه.

غين.... (....)

.....

حبيبتي اسمُها

قليلُ المقاطع .. متينُ البنيان

جارتنا كانتْ .. قبلَ وجودِ الوجدان

لا فرقَ بين داريْنا ، لا أبوابَ موصدةٌ

لا شرفاتٍ تحجبُها أيام

نطرقُ حائطاً، سلكاً نعبرُ

يأتينا الخبزُ والمِلحُ

وحيناً يأتينا الماءُ بلا إحسان

نشأتْ في عروقي جارتنا ، في ناصيتي بلا عنوان

كبرتْ ورسم نبعُ البحر على خديها أنوثة

ونعومةَ رمل الشطآن

هامَ الكلُّ بها عشقاً ..عبثتْ بها أيدي

وتدافعُ عن عِزتها.. تصونُ ، تُهدمُ بعضُ الجدرانِ

عذبةٌ هي ، تُلقي من يرميها بحجرٍ تمرة

صارتْ جارتي

زيتونةَ سكير، محرابَ الناسك، وصلاة الرهبان

واستعصتْ دوماً في وجه الخُطابِ

أمهروها...قلدوها، بهدايا..حاصرها العرسان

ترفضُ ، تلعنُ، تصرخ ، فاتَ أوان زواجها، لكنْ

بقيتْ دوماً معنىً مقدساً، كلما زدته فكراً ، زادك غموضاً

وحين تُخرِجُ منه معنىً ، يُفرخُ معنىً جديداً

هكذا كانتْ ، وكنت أعرفُها معرفة الأهلِ والدارِ

وأقدرُها في نفسي وأمنحُها حقَّ الجوارِ

وظننا جميعا أنها عن الزواج عازفة

وبحثتُ أنا عن أنثى

تكن لي وطناً وسكناً ، أو عنوانا

ودونَ سابقِ إنذارٍ

وقبل ليالِ ثلاثٍ بقيتْ من كانون

نَبيتُ ... على آتون، حيثُ

لا قمر.. لا ضوء..لا شمعات

نسمعُ زغاريدَ، تعانقها الآهات

وتفجرُ جارتي دوي موافقتها

لـ عريسٍ جاء ليخطبها

فارسٌ ملثمٌ، يعرفنا ولا نعرفه

يبدو أنها عليه ،كانتْ عاقدة النية

فعلمنا حتماً ، بقصةِ عشقٍ مخفية

أرادَ الكلُّ ليثنيها ، أو يغريها، فأبتْ

سكبوا تحت قدميها النفط ريالاتٍ.. براميلَ، فتعالتْ

غازلها الأهلُ، حتى الأعداءُ فما مادتْ

ووسط دهشةِ الجميع ، تعلن جارتي أنها

ستتزوج ممن؟ لتنجبَ من؟

وفي التوِّ والحالِ

عُقِدَ قرانها بمأذونٍ سماوي السمتِ

وشهودٍ من كلِّ أجنادِ الأرض

ولم يمضِ على الزيجةِ أيامٌ

حتى أنجبت جارتي

يا لها من عاشقةٍ! تتزوجُ على غِرةٍ، تحملُ وتُنجبُ في أيامٍ!

تزوجتْ جارتي الموتَ ! ورحلتْ معانقة إياه لتنجبَ حماساً

وتعرينا جميعاً، فبات سادتنا أقزاماً

وتركتْ في القلبِ خريطة ، لا تمحوها الأزمان

وصارتْ للتاريخ علامة ... بل شامة

زادتْ حُسن الحِسان

حتى أنها غيرتْ من نواميس الكون

فكانت للأرض دورتان ، حول محورها وحول الشمس

والآن... صار للأرض دورة ثالثة

تدور حول (حماس) ، أقصد حبيبتي غزة

وأنا بها أهيمُ وأتمنى أن أكونَ ، غزاوي الموطن

حماسي المذهب والفكر، حتى الوجدان

أصحو على جرس القسام ينادي:

أحمل نعشي ..كفني وفؤادي

فشكراً ليفني، شكراً شمعون

وجزيل الشكر ومنتهاه لأردوغان

فأنا أدركتُ الآن:

أن وحيّاً سماويّاً، أن بناءً ضوئياً

في رحم غزة يحدث جيلاً حماوياً

والآن أعود أدراجي لأسأل:

هل زيجة غزة من الموتِ لتنجبَ حماساً حلالٌ أم حلالٌ؟

وهل يمكنُ أن أكونَ ابناً شرعياً لحماس؟

أفتونا أفادكم الله.

.....

(فاء) ....فضيلةٌ وفتيلة

من روعة معية الله أن يخرج من ظلام القلب إلى يقين الروح ونورها، فللإسلام قناعته الفكرية التي محلها العقل، وللإيمان سعادة قلبية محلها القلب، لذا فالقلب المؤمن يحلق في آفاق الرضا والأمن ولو كان حبيس جدران أربعة، ويتحلى بالإيجابية مهما قلت موارده، والمؤمن بطبعه لديه من الذكاء العاطفي ما يجعل ملكاته تتجدد وطاقاته تتولد وفق إنسجام أشبه بالآلي أو الدفع الذاتي، وهذه المعتقدات التي تكون فكره وتسيطر على جوارحه لا تتحول إلى بذل وتضحيات إلى بالإيمان، فهو الخميرة والفتيلة اللتي تضيء مصباحه، وحين يتخلل الإيمان خلايا المرء يدرك ذاته وكأنه وَلد من جديد، فيسأل من هو؟ وما غايته من الوجود؟ فيصبح لوجوده غاية ولسعيه هدف، وفي كل حركة من حركاته وسكناته نية، ويرحم الله هشام بن عبدالملك حين وصف عمر بن عبد العزيز قائلاً: ما أحسبُ عمر خطا خطوةً قط إلا وله فيها نية، وهنا تكمن عظمة هذا الخليفة الذي وفقه الله لأن يصلح دولة في عامين، وبعضنا قد يحتاج لأعوامٍ لإصلاح غرفته التي يقطنها، فحين يهب المسلم حياته لخالقه وينذر روحه وسعيه لذلك يشعر بلذة الحبِّ والقرب والمعية، فالحب ليس شعورا فقط، لكنه شعور يغذيه فعل الحب، فمن غرس نبتةً وتعاهدها تنشأ بينه وبينها علاقة مودة ومراقبة، ومن تقتني بعض الطيور وتقوم بإطعامها وتربيتها تنشأ بينهما علاقة حب ورحمة، فالمسلم الحقيقي لا يستعذب حبه لله إلا بقدر ما يبذل من مجاهدة النفس والإعراض عن الهوى، وإقباله على الطاعات ونصرة دين الله وإعلاء كلمته.

وثمّةُ خيطٌ رقيقٌ وغيرُ مرئيّ بين السماءِ والنفسِ لا ينفصمُ، وهذا الخيطُ له قدسيةٌ خاصةٌ، وموقعُه في الذاتِ أشبهُ بالكعبةِ في الوجدانِ، وبالمسجدِ في القلبِ، وفضيلةُ كلّ نفسٍ أشبهُ بفتيلة كلّ قنديلٍ، فلا قيمة للمصباحِ دونَ فتيلةٍ، ولا قيمة للنفسِ دونَ فضيلةٍ، ويظلُّ المرءُ يفتلُ هذا الخيطَ ويتعلقُ به ويسيرُ على هديه حتى يتبينَ له عروجُ نفسه في كلّ صلاةٍ، فيصبح دربُه بين السماءِ والأرضِ آمناً ومألوفاً ومسلوكاً، فما جاءَ مِن الغيبِ يرده إلى خالقِ الغيبِ، وكلُّ بلاءٍ يفتحُ له طريقاً عبر خيطِه أو سبيلِه قوامهُ الصبر والاحتساب، لا يتبرمُ ولا يتضجرُ ولا يتأففُ، فتتنزلُ مِن السماءِ رحماتِها ونفحاتِها لنكتشفَ أن المصيبةَ ليستْ في المصيبةِ، إنّما في ضعفنا وجهلنا وغفلتنا، وقد قيل لرجلٍ فقد ابنه لم لا تجزع؟ فقال: هذا أمر توقعناه ... فحينَ حدثَ استرجعنا ولا نفزع؛ ومِن غايةِ الرِّضا أن تستمتع بما أنتَ فيه؛ فأيُّما رجل أُصِيبَ فحمد واطمأن... رضي فاستمتع، ولا يصحُّ إسلامُ المرءِ

إلا إذا شعرَ أن قطعةً مِن السماءِ تحيا في أعماقِه، والإسلامُ في حقيقته.... الحدُّ القائمُ والسورُ المضروبُ بين النفسِ وشهواتِها، وبقدرِ استقامتكَ في الدنيا تكون استقامتُكَ على الصراطِ في الآخرة. فهلْ يستقيمُ الطاغوتُ أو يتوبُ؟

وحريٌّ بنا أن يكونَ اهتمامنا حول الفضائلِ لا الأشخاص، ومع الحقِّ ندورُ لا مع مَن يمشي في فلكه، فالفضيلةُ والحقُّ يتكاملان ولا يتصادمان، وثابتان ولا يتغيران، وكلاهما يحفز ويجدد ويبدع، لكن مع الأشخاصِ نجد التقليدَ والمحاكاة والمنتجاتِ العقلية المعادة والمكررة، ففارقٌ بين الإبداعِ والإتباعِ؛ فالإبداعُ تنوعٌ، والإتباعُ قولبةٌ، وقد نختلف فنقترب، فالاختلافُ المحمود يجمعُ ولا يصادم، بل يحفز العقولَ، وبه يتكاملُ الجهد؛ وهكذا يكون للمجتمعِ شخصيته الثقافية والأخلاقية؛ وكل مجتمع تتمحور أفكاره حول منتجاتِ العقل المرتبط بالدين والفطرة يخدمُ البشرية جميعها؛ أما المجتمعُ الذي يدورُ في فلكِ الخلافاتِ والتشرذم ينتج قنابلَ عقلية تنفجر في أي وقتٍ، وفيروساتٍ بشرية يعدي المعطوبُ بها السليمَ، لذا يكون الدكتاتورُ الحاكم إلهاً يُصفق له، والفنُّ والرقص والخلاعة مثلاً أعلى، وهنا يتهاوى كلُّ موروثٍ حضاريّ.

ورحم الله إقبال حين قال:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمـن لم يحي دينا

ومن رضي الحياة بغير دين ... فقد جـعل الفناء لها قرينا

(قاف)... قالتْ شهدُ وقُلتُ

كان القمرُ لا يزالُ في مهده يحبو هلالاً، والنجومُ ترسلُ ضوءَها كنظراتِ عذارى من وراءِ خدرها، تُقتلُ في مهدِها، أحسستُ أني أريد أن أناجي البعيدَ القريبَ، ذهبتُ إلى خلوتي ومعبدي، أغوصُ في الظلامِ تارةً حين يغيبُ نورُ السماءِ، وتارةً حين أطبقُ جفوني تاركاً للروحِ تسبحُ أو تعبثُ في ملكوتِ خيالها.

شعرتُ بـ نسماتٍ ظننتها ضلتْ، فلا مكانَ لها تحت بردِ الشتاءِ، لكن انتبهتُ على زفيرِ حبيبتي، فهي تعرفُ أين تجدني حين تفقدني؟ تسللتْ إلى صومعتي التي أرددُ فيها صلواتِ الفكرِ والوجدانِ، كأنَ قلبَها شعر بما ألمَّ بي، فجاءتْ تُهدأُ من روعتِه.

وبكبرياء الرجلِ قلتُ: من جاء بكِ تقتحمين دارَ خواطري وتغتالين خيالي؟

وأدتْ بسمةً على وجنتيها وكأنها تقولُ أعرفُ أنكَ سعيدٌ بمقدمي. وقالتْ: أيها الشقيُّ لماذا لم تأتِ بزوجتك تناجيها معك؟ قلتُ :ربما أحسستُ بمجيئك فجبنتُ، ثم إنك تكفيني كلَّ نساءِ الأرض .قالتْ : وهذه التي وراءك كم تكفيك؟ وماذا تسميها إذن؟ قلتُ :هي نِصْفكِ فقط.قالتْ: لا أفهمُ... متى قِيلَ بأن الزوجةَ نصفُ العشيقةِ؟ قلتُ :هي ثلثُ زوجةٍ وأنتِ الثلثان.قالتْ: لم أسمعْ من قبلُ بأن رجلاً تزوج بثلثِ زوجةٍ. قلتُ : ألا تقبلُ المرأةُ أن تكون نصفَ وثلثَ وربعَ زوجةٍ؟ قالتْ: بلى، نحن معشر النساء نكونُ أحياناً شركاءُ نقتسمُ الرجلَ حين يكون رجلاً، لكن لا أفهمُ أن رجلاً تزوجِ ثلثَ زوجةٍ .

سألتُها :كيف يتزوجُ الرجلُ؟

أجابتْ: ربما قصةُ عشق.... مسحةُ جمالٍ، نزعةٌ إلى منصبٍ أو مالٍ، صداقةٌ أو تعارفُ أهلٍ، والآنَ أصبح للصحفِ والنتِ نصيبٌ.

قلتُ: ياهذه أنتِ لم تفهمي قصدي، إنما أردتُ ماذا يريدُ الرجلُ من الأنثى وما وسائلُ اختياره؟ قالتْ :الليلة لا أفهمك، دعني أسمعك أفضل. قلتُ: إذا تزوجَ الرجلُ بعينه فهذا ثلثُ زواجٍ .قالتْ: وأين الثلثان الباقيان؟

قلتُ: هما نصيبا العقلِ والقلبِ، ومتى نفضلُ الثلثَ(أقصد راحة العين) يضيعُ الثلثان.

قالتْ: أنت يا هذا تلوي الحقائقَ ما أخدعك! إنْ كان كلامُك صواباً فلا زوجة تزوجتْ ولا رجلٌ، أم أنتَ تريد أن تخترعَ زواجاً للعينِ وآخراً للقلبِ وثالثا للعقل؟ الآن فهمتُ وصيةَ الرسولِ عليه الصلاة والسلام... اللهَ اللهَ في النساء.

قلتُ: يا سيدتي ليستْ العينُ فقط هي التي تحكمُ أيُّ الشيئين أفضل؟ فللعقلِ رؤية وللقلبِ رؤية، وقد اختار ابنُ حنبل عند زواجه العاقلةَ العوراءَ وترك أختها الجميلة، وجلُّ مشاكلنا أن زيجاتنا لا تتعدى أنصافَ الزيجاتِ على أحسن تقدير، فراحةُ العينِ ثلثُ الصوابِ وراحةُ القلبِ والعقلِ الثلثان.

فأومأتْ بخبثٍ قائلة: وأمُّ أولادك أيّاً من الكسورِ نالتْ؟ قلتُ:هي ثلثُ زوجةٍ، قالتْ: وأيُّ ثلثٍ فضلتَ أنتَ؟ قلت :الحمد لله هم اختاروا لي وأحسبُ أني حظيتُ بثلثِ العين وثلثِ العقل وثلثِ القلب، قالت :خادعٌ أنت وزيرُ نساء، فإن كانت زوجتك ثلث زوجة

فأين الثلثان الباقيان؟

قلتُ: هما معكِ أنتِ، فأنت لي ثلثا الزوجة، تعجبت! وقالت: بأي منطقٍ تقيس؟ وبأي جورٍ تعدلُ؟ ثلثُ زوجةٍ بعقدٍ ومهرٍ وشهودٍ وثلثا الزوجة دون عقدٍ ودون مهر وشهود؟

قلتُ: يا سيدتي العقدُ هذا تشهده ملائكةُ السماء والأرض، وفي بضعِ كلماتٍ يحلُّ حراماً ويحرمُ حلالاً، لكن لحفظِ النسل والماء واستقرار الحياة، وليضعَ الجسدَ والمادة والتراب في قيودهم لأنهم دوماً لا يحبون القيود، ولا يحتوي في بنوده إلا ما يمكن قياسه ووزنه مادياً، قابل للفسخ إن لم تأتلفْ الروحُ وينسجمُ العقلُ، لكن السماءَ بنا أرحم أو أشد قيوداً حين تمنحنا أولاداً من زيجةٍ لا تنال الرضا، فأكثر الأسرِ لا يقيمُ أودها الا أولادٌ جاءوا برغبةٍ أو بلا رغبة، وحين ينفكُّ رباطُ العقد نعودُ أدراجنا إلى ما فيه من ماديات، ولا نعيرُ اهتماماً الى ما نفقده معنوياً، ولا طبُّ الدنيا يصلحُ ما انكسر من مشاعرنا بل نزيدُ الطينَ بلة. أما زواجى منك حبيبتى فزواجُ أرواح لا تنفصلُ، عقدٌ بميثاقِ أهل الجنةِ، وتشهده أرواحُ الملائكة ويسعدُّ به الملكوتُ من حولك. يا عزيزتي:

فقاطعتني....إنْ كنتُ عزيزتك فبم تنادي أم أولادك؟ قلتُ لها :وقت الرضا يا عزيزتي، ووقت الغضبِ أنادي على ابنها فتفهم. قالتْ :ولماذا تساويني بها ولستُ بعد زوجتك؟

قلتُ: إنك أنت زوجتي وأكثر، فمن نعمِّ الله علينا أن أطلقَ للقلبِ والروحِ العنانَ، ليتزوجَ القلبُ من يهوى وإن بعد، وتسكنَ الروحُ الروحِ ولو كانت في أحضانِ القبورِ، كي يعوضَ الإنسانُ بعضَ ما يفقده فيمن يحبُّ ليحيا في جنةِ قلبه وفردوسِ روحه، ويستشعرُ معنى الجنة الأبدية موطن أبينا وملاذنا الآخر إن شاء الله.

قالتْ :هذه دعوةٌ للخيانةِ أنتَ صاحبُها لكن مغلفةٌ بثيابٍ من ظلٍّ.

قلتُ: حبيبتي ... للمادةِ قوانينُ وتبعاتٌ لا نتجاوزها مادمنا أحياء، أما القلبُ والروحُ فلا سلطانَ عليهما، ولا يحاسبُ ربي على خياناتِ الروح والقلبِ لأنهما من نفخته هو، فهما لا يعرفا الإثمَ ولا ينبتا في الأرضِ الفسادَ ما داما يحتفظانِ بعبق النفخة ويتحليان بسلامةِ الفطرة، فهما دوماً يرتقيان بصاحبهما، ويتحسسُ من خلالهما كمالاً ينشده، وأعتقدُ إن لم أكن جازماً أن كلَّ المخلوقاتِ يتزوجون في كل يومٍ وليلة حسب ميل قلوبهم وهدي أرواحهم، فهل معنى ذلك أن نتهمَ الجميعَ بالخيانة؟ ثم هذا الذى يتزوجُ اثنتين هل

له سلطانٌ وقدرةٌ على قِسمةِ قلبه إلى أنصافٍ وأرباع وأثلاث؟ قالت :لستُ مقتنعة، كأنك تريدُ أن تحولَ الحياة كلها إلى كلمةٍ واحدة هي الحبُّ، قلتُ :وهل انتظم عقد الكون من حولك إلا بقانونِ الحبِّ؟ فلا تسمعي لأهل العلم فإنهم لا يفهمون، يحشرون عقولَ الناس بقوانينَ ونظرياتٍ ومسمياتٍ ما أنزل الله بها من سلطان، لكنها كلها قوانين للحبِّ في صوره وأشكاله، فكلُّ قانون أو نظرية تجدين فيها (البساطة والجمال وروعة التنسيق وتربط الأشياء الأشد اختلافاً)، أليس هذا هو نفسه معنى الحب؟ هل سمعتم بأن هناك حبّاً لا يتحلى ببساطة دخوله القلب؟ وجماله يظهرُ وينطق ويفضح صاحبه، ويجعله يعيد تنسيقَ ذاته من جديد، وأجملُ قصص الحب هي التي ربطت بين قلبين شديدي الاختلاف، فقانون الجاذبية يصورُ حالاتِ المحبِّ وحبيبه، فليست الأرض تجذبُ الأشياء نحوها، لكن الأرض تعشق أشياءَ فتجذبها نحوها. وقانون النسبية... وأن لكلِّ فعلٍ رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه، هو بعينه شرحٌ مبسطٌ لحالة حبٍّ، حين الوصلِ وحين الجفاء، حتى المد والجزر يمثل في حقيقته إقبال الحبيبِ وإدباره، وكلُّ التفاعلات الكيميائية والإنسانية مردودها الحب. يا سيدتى قانونُ الكون واحدٌ وهو قانون(الذى قدر فهدى) اللهُ قدرَ الحبَّ فهدى كل مخلوقٍ ليحبَّ على سجيته، ولا أحسب أن انفراطَ عقد الكون يوم القيامة ما هو إلا تباعد حرفي (الحاء عن الباء). فأسرارُ الحبِّ من أسرار الروحِ وعالمِ الغيب، وللمحبِّ سموٌّ ورقيٌّ يحولُ إنسانَ الطينِ إلى إنسان النور، وكأنه يقذف فيه بقبسٍ من قبسات النبوة تظهر في رقةِ قلوب العاشقين، قالتْ :وفي العشق أيضاً تسفلٌ وقبحٌ وانحدارٌ يُظهرُ الإنسانَ الطيني في أقذر الأثواب.

قلتُ :ليس هذا في قاموس المحبين ولا ينتمي هؤلاء للعشاق.

قالتْ: سأرفع عليك قضيةَ مجونٍ، فأنت رجلٌ متزوجٌ، سأشهرُ بك فلا تدعِ السمو، قد اقترفت جريمةً، تعشقُ من لا ثيابَ لها ولا جسدَ تراه، أنت تعشقُ صورةً في خيالك أوخريطةً وتفضلها على زوجتك، قلتُ :يا حبيبةَ القلبِ ونبضَ الفؤاد أليس الحبُّ هو تعلق النفس بالنفس؟ أليس العشق هو حلول الروحِ في الروح؟ أليس الحبُّ فلكاً يجذب روْحينا دون قصدٍ وعلى بعاد؟ إن بعدي عنك موتٌ فيه حياة، وبعدكِ عني حياة فيها معنى الموت، قالتْ : لكني عليك مشفقةٌ، أحبابى كُثرٌ، قلتُ: لا بأس وأتمنى

زيادتهم..واسألي آل(ياسين)، فبهم(سعيدٌ) قلبي ، (خالدٌ) يشتعلُ، عقلي (ريانٌ)، فكرى (صِيامٌ) عن غيرك، نبضى(زهارٌ) في واحتك.

قالتْ : فأين مهري؟ لعلك لا تعرفه. قلتُ :أعرفه وأشتهيه، أعرف أن مهرك هو إراقةُ دمي على نحرك، تحت نخيلك ليثمرَ، وفوق صفرةِ وجهك كي يخضر، وعلى ثغرك لتعلوه ابتسامة،كي تسكنَ عينك يا غزة عن الدمع، فدمعك ياغزةُ يثمر شهداً.

وأنا حبيبتى غزة، وثلثا زوجتي شهد.

(كاف) (كنتُ يوماً أحبها)

....

كانت لنا ... يا ليتها

وكان بيننا حبٌّ بغير طريقةِ الحبِّ

حين أراها ... كأن شعاع الضحى من محياها يبزغُ

القمر يقطنُ بين ثناياها حين تبتسمُ

عيونها من هذه التي تفتن الرجل وقتما تُعرِضُ، وتسحره متى ترنو إليه، وتعذبه وتشقيه متى أفلتْ.

في هجرها عذابٌ ، وفي وصلها كل آلام المحبين

فى بياض عينيها لدي .. معنى وضع النور وصياغته لقلبٍ سعيد

وفى سوادهما لديها .. يتجسد الظلام ويتجلى في القلب المهجور

إليكِ يا من كنتِ حبيبتي

كنتِ أنتِ الذهب والنفائس وما فاق كلاهما

وكنتُ أنا اللصُّ الذي لا يريد ضميره أن يكون لصّاً.

كانت تمشى يغلفها الحياءُ، وكأنها بأفكار الناس تسمو، وبخيالاتهم تتعالى.

كان لسانُ حالها يقول لكلِّ العيون:صهٍ .. أو بالنور تيمموا.

كنت أتمنى لقاءها، وحين تمر أمامي ـ أغمض عيني لتغمرني لذة قربها،

وكأنها شعاع من الضوء يغتالني برفق.

كانت تتحدثُ بكلام فيه صمت يشرحُ ويفسر ما بداخلها من عشق، وترنو بألحاظٍ فيها انكسار يتوسل ويتدلل، بل و يأمر.

وآهٍ ثم آهٍ من ثيابها حين تضمها!! أراها معرض لصورة ضم ذي الهوى لمن يهوي.

كانت هي ... قصيدة شعري التي، تتحرك بدلا من أن تُقرأ، وتُرى بدلا من أن تُسمعُ، قصيدة تخلو من الألفاظ .. لكن من رآها وضع ألفاظاً بها تليقُ، ومن عشقها تاهت وضلت الألفاظ لديه، فتكلم فيها بدمه وفكره وشعوره ودمعه.

و يا لها حين تنظر منكسرة الأجفان! يخيل إليَّ كأن في سواد عينيها نظرتين،

إحداهما تقول ...أنتَ ؛ والأخرى تقولُ..... أنتً أنتَ لا غيرك يسكنني.

كنتُ معها وفى قربها تدخل النفس والروح في اللاحقيقي، وتجعله أكثر من الحقيقي

وحين تقبل منشرحة الصدر، أراها تقبل بلهفة كل المحبين

ونجلسُ الساعاتِ بلا حديث ولا وصل، ونشعر أن روحينا متزوجتان وممتزجتان

أما حين تقبلُ وعلى محياها الهمُّ، أراها قد نالت تسعة أعشار الحزن وتصدقت بالعشر الباقي يطوف على الدنيا، حتى همها وكدرها، فيهما الفتنة والدلال والجاذبية.

يا إلهي!كأن محياها يصنع من حزنها أحزاناً جمة، أقلها معنى الهم لقلبها، وأعلاها معنى الاضطراب لفؤادي.

وفى معيتها وحضرتها يظهر إبليس في غير إبليسيته، يرتدي زي القديسين ويخنسُ
بل تسمو الفضيلة بيننا ، وأكتفي بـ أن يعانق عفافي حياءها، ويلثم ظلي ثيابها.

....

(لام) لماذا ارتفعتْ مآذننا؟

......

فرأتُ في باكورة الشبابِ مقولةً لا أتذكر قائلها، لكنها حفرتْ أخاديدَ في وجداني، وتطفو على سطح أيامي في كلِّ حين، ألا وهي: "نهضةُ أيِّ شعبٍ مرهونةٌ بفئتي العلماء والقضاة"، وفهمت آنذاك أن فئة العلماء قد تشمل عالِمَ الدين وعالِمَ الدنيا، فالأولُ يؤلِّفُ خُلقَ الناس قولاً وسلوكاً وبه يقتدي العامة، ويَهابُ غضبته السلطانُ، بل هو قبسٌ من قبساتِ النبوة بيننا، والآخر يمنحُ أهل الوطن حياته وعِلمَه، فكلاهما لا غِنى لأي مجتمع عنهما.

أما القاضي الذي يُطرَقُ بابُه من أجل القضاء بين الناس فهذا لعمري يتحرى العدل ولا يخاف في الحقِّ لومة لائم، فعنده يجد المغبون حقَّه، ويُنتصر للمظلوم من الظالم مهما كانت منزلته، أما قضاتنا اليوم فأكاد أجزمُ لولا الواسطة والرشوة والمحسوبية ما تولى أحدٌ منهم القضاءَ إلا من رحم. ولو جاء إلى مصرنا رجلٌ غريبٌ وألقى نظرة على حياتنا بحيادية لظننته يقول: يحاربون بيوتَ الله بالملاهي، ويحاربون الزوجاتِ بالفن وبناتِ الليل، ويحاربون العقيدة وروحها بمن يُطلقون عليهم زوراً وبهتاناً النخبة، ويصارعون قوة الجهاد وفريضته بفنون اللذة والشهوات وقنوات التت. وواقع الأمر الأليم تراهم يَضلُّون ويُضلِّون حين يوحدون خطبة الجمعة، ويُغلقون مساجدَ الله بدعوى أنها تستهلك الكهرباء، وأنها مفرخةٌ للإرهاب والتطرف، وكانت مساجدنا منارة العلم والدين ومفرخة الرجال في كل عصرٍ ومِصْر، أما الملاهي والمراقص وحاناتُ الشراب والبغاء والكنائس فكأن الكهرباء فيها لا تُستهلك، ولكنها تتجدد ذاتياً بفعل المشروبات الروحية، وشرُّ الشرور يا سادة هو الفن وحريته وخلاعته، فلا نرى فيه إلا الحماقة والهزل والسخف والاستهزاء وكل المعاني الفجة التي يريدون إحياءها في نفوس العامة المكذوب عليها، فلا عجب أن تجد من يتسول طعامه وشرابه وهو على المجتمع عالة وفي بيته الدش وملحقاته قبل الأكل أحياناً، ومن يُلقي نظرةً على أسطح البيوتِ في مجتمعنا العربي يجد من مستقبلات الإرسال والأقمار عدداً يكفي ثمنه لإطعام قارة

بأكملها، فهكذا نجح الاستعمار منذ عقودٍ أن يجعلَ جُلَّ الشعوب النامية لا تفكر إلا في أمرين لا ثالث لهما...الأول: كيف نأكل؟ وإذا أكلنا كيف نمارس الجنس؟ وهي متاهة من دخلها لا يخرج منها إلا بشقِ الأنفس، علاوة على أن صاحبها يعيش في مجتمعه بأضعف ما فيه، ويرجو من الجميع أن يحملوه في كل شيء، وهذا للأسف واقع أغلب المجتمعات العربية، بينما القليل يعيش باذلاً أفضل ما لديه ويحملُ همَّ أهله وأمته ويُحارَبُ من قبل مؤسسات الدولة وكأنه صبأ.

أما مصيبة نخبتنا وإعلامنا المضلِّل وتوقيره لمن لا يستحق فكأن هدفهم وغاية مآربهم ألَّا يُثبتوا للإسلام شخصيته العزيزة، فتكون نكبتنا في ضميرنا وعقيدتنا وعقلنا الجمعي. وقضاؤنا للأسف نراه في كل حين يخرق القانون كمن يخترع قانوناً حسب الحالة وحسب صاحبها، وأحسبُ أننا أسوأ ممن كانوا قبلنا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، بل واقعنا... إذا سرق فينا اللصوصُ كافأناهم، أما الشريف والأمين فيقام عليه الحد لشرفه وأمانته، وفي أيامنا مساعدة الأهل في فلسطين وسوريا وبورما جريمة لا تُغتفرُ، بل تجد البعض يصب لعناته، والكثيرُ يبخل عليهم حتى بالدعاء، ونسوا أو تناسوا أن أخلاقنا ووقوفنا إلى جوارهم هي إرادة فوق إرادتهم، وقوة فوق قوتهم، ودعم وتعزيز ومشاركة وجدانية أوجبها الإسلام علينا لا منَّة وكرامة. وفي الإسلام من المعاني والأفكار التي تجعل النفس فوق المادة وفوق الخوف وفوق الموت نفسه، وفي الإسلام الفكرة التي تحيا في القلوب بمعنى القوة وبمعنى إيثار الغير، وبمعنى القِبلة الواحدة التي يتجه صوبها الكلُّ، وفي الإسلام فكرة الرفعة كلما رأينا مآذننا مرفوعة؟ فهل سألت نفسك يوماً أخي لماذا ارتفعت المآذن؟ اعلم أخا الإيمان أن الإنسان هو المخلوق الوحيد رأسي النظرة، متصل بالسماء، منتصب الهامة، روحاني النزعة، فهذا نوع من التكريم الإلهي لأنه أهل للقيام بتبعات الخلافة، يدور مع تكليفات الله والحكمة ضالته، أينما وجدها فهو أحق بها ، لكن كل من يدبُّ على الأرض غير الإنسان تجده أفقي النظرة، مادي النزعة، يدور في فلك ذاته، والمآذن كذلك مرفوعة منتصبة متجهة للسماء لعلة، يجب أن يعيها المسلم، فهي رمز لسموه وارتفاعه عن أدران الأرض، فمن المآذن يعتاد المسلمون رفع الصوت بالحقِ وفى الحقِ دائماً، ومثلها تظلُّ الهامةُ مرفوعةً متصلة بخالقها، تنهل من منهجه وتصيغه واقعاً يتجسد، مرتفعة مآذننا لتتعالى فى

قيمك وسلوكك وتشعر أنك دوماً عالي المصدر راقي المنبع، لتحنَّ لجنة أبيك آدم مسكنك الأول، وتتعجل متى تصل إليه لتبرهن أن الجنة موطننا الأصلي، أما ما نقطنه الآن فاستثناء... قصدي هباء، لتشعر دوماً بأثر النفخة الربانية فيك، وأنك جئت من أعلى وستذهب دوماً للأعلى، لأن ربك الأعلى ومنهجك الأعلى ورسولك أفضل الأنبياء، لنسمع منها : حي على الفلاح– فنحوقلُ – ونسرع إلى الصلاة، ونسمع منها :حي على الجهاد ـ فنخفُّ ونلبي.... مع العذر(لغزة) و(سورية).

والآن ... هل ترى مآذننا مرفوعة ؟

....

(ميم) ... موتٍ يَحْيَا

ما أعجبَ الدنيا حين تحملُ شيخاً بظرفٍ كظرفِ الأطفال! فقد سكبَ اللهُ في قلبِ أبي معاني الرِّقةِ والحنانِ سكباً لا مثيل له، حتى شعرنا جميعاً أنه أصغرنا، وقد رأيتُ أبي من الذين أنعم اللهُ عليهم بأن جعل لهم أبناءَ قرَّتْ بهم عينه، وتلك من حقائق السعادة الكبرى في حياة الرجل، فلم يشعر أبي في حياته قط بأنه غنيٌّ إلا بنا، ولم يعاني فقراً في عِزِّ فقرهِ ونحن حوله، وكان يردد أبنائي ـ عزوتي تركتي ميراثي ـ فيعظمُ الفرحُ في نفسهِ ونفوسنا فيكبر وإنْ بدا ضئيلاً، ويتضاعفُ لديه الأملُ ولدينا وإن كان بعيد المنال، فكنا منه نستدينُ الإرادةَ ويستمدها منا في أغلب الأحايين، ومعه يصغرُ الهمُّ ويتلاشى، ويتضاءلُ الفقرُ حين نتقاسمه فيبدو تافهاً نهزأُ به، وكانت حياتنا في جواره تمثلُ كل القوة والأمان، فعاد موته يمثلُ لنا

الضعفُ والحرمان، وكنا نتحسسُ أدرانَ الحياةِ وهو يهزأُ بها بنصفِ ابتسامةٍ ساخرةٍ، فنراها مخففةً أو كأنها دعابة أو لا هموم، فعادتْ هموم الدنيا بدونه ثقيلة مضاعفة لا طاقةَ لنا بها، وكنتُ ألمحُ في جواره كوةً من نور الجنةِ يفيضُ علينا صباح مساء،فحرمنا موتُهُ إياها.

قبل وفاته بأسبوعين ترك غرفته التي كانت مأواه طيلة حياته قائلاً:دعني أموت عندك لتلقنني شهادةً ألقى بها ربي، فلم نأخذ كلامه بمحمل الجدِّ، لكن بسرعة البرق أنفذناه، وهيأتُ له غرفته بجواري، ومنحني الله القدرة على القيام بشئونه، وشعرتُ أن الحياةَ في جوار وطاعة الأبِ يكسوها عبق وأريج الجنان، لكنه صار على غير عادته، طلباته تقلُّ يوماً بعد يومٍ، وكأنه قد فرغ من الدنيا وارتدى ثوباً من أسرار الموت وهيبته، فرغت عنده معظم الدنيا من معانيها، وبدا الجسم يتخلى عن مكانه للروح تظهر وتأبى نوماً، وكأنه أراد أن يملأُ عينه من كلِّ أحبابه، أو يقول في صمتٍ وبلا آهٍ وداعاً.

فقد عاش أبي بقلوبنا لا قلبه، وبحناننا لا حنانه، وبحبنا الذي غرس نبتته بيده، وحين اقترب أبي من ساعات احتضاره ... شعرتُ أنه يطرقُ برفق بابَ آخرته، يريد أن ينسلَّ من بيننا خفيفاً ليناً، وحين أسمعُ الآذانَ أقول له: أتريد الصلاةَ في المسجد يا أبي؟ يهزُّ رأسه ويطبقُ جفونه موافقاً، لكن هيهات هيهات، فقد خارت القوى، وصرنا حوله كمن يمسكُ بظلٍّ يتحرك ليمنعه ألا يذهب، وأنى لنا هذا؟

فما أعظم الفارق! وشتان شتان، فلو أن كلَّ كتبِ الدنيا التي تتحدث عن الموت قد أفرغتها في عقلي.... ما كادت لتترك أثراً واحداً من ألوف المعاني التي علمنيه احتضار أبي، فحين يموت الأبُ الحنون بين يدي ابن يجتهدُ أن يكون باراً .... هنا وهنا فقط، يحفرُ الموت أخاديد في النفس لا تمحوها السنون، آهٍ حين يغطى الوجه في سويعاتٍ قليلة آلام عمر كاملٍ ليشهدَ هيبة الموت وجلاله، وآهٍ حينَ تحين ساعة ما لا يُفهم، ساعة اللاشيء عند من يحيا، وساعة كل شيء عند من يودع الحياة، فحين تحين ساعة الرحيل يتوقف الزمن .. يتلاشى.. يذوب، يموت كل كذب الدنيا وزينتها داخلك، حين تُخْتزلُ سنوات أعمارنا في كلمة واحدة هي ـ أعمالنا ـ .

انقطعت الدنيا لديَّ من جلِّ معانيها وشعرتُ بثقل ما ألقى أبي على كاهلي أنْ ألقنه الشهادة، فكان يردد بصوتٍ خفي منقطع لا يكاد يُبينُ، يا رب..وتضمُّ شفتاه الحرفين كمن يعانقهما عناقاً، فليرحمك الله يا أبي، ويا لحرقة دمعة الموت ولسعتها لمن يشاهدها، كانت دمعته تناجينا قائلة:لا تبكوا..لا تحزنوا، مشفقٌ علينا حين موته نفس إشفاقه علينا في حياته، زفرات الرحيل علتْ ابتسامته التي رسمها على وجهه طيلة حياته، آهٍ حين يتكلم المحتضرُ بعجزه عن الكلام، سلمت علينا دمعته وشهقته الأخيرة مودعة في صمت وهدوء، وحين سكن الحيُّ الذي كان في أبي تحرك في داخلي كلُّ تاريخه وقت كان يضيقُ على نفسه ليوسعَ لنا، وحين كان يخلعُ الثوب ويتقي البرد بجلده لتدفئتنا به جميعاً، امتد لسانُ الموتِ وكبر، وحقرت الدنيا وقلَّتْ، وتحاقرت الحياةُ وتجمعت في حفرة واحدة هي قبر أبي.

لقد خُيلَ إليَّ ملك الموت في غرفتي وأنا أمسك بأنامل أبي أتحسسُ حرارتها، يا إلهي كأنني أنا الذي

أموتُ، تنظر عيني في فضاءات الغرفة ،أحسُّ أن أبي يملأُ الجو من حولي، جعل موته أعضائي مختلةً أو فقدت توازنها مما ألم بي من الحزن والوجد، صارت أفكاري تنحدر من رأسي إلى حلقي، ولا يفرجُ عني إلا عبراتٌ تُسكبُ سكباً، كان جميع من حولي في عالم الدنيا، وكنت مع أبي في عالم الموتى، الناس من حولي يمشون لينتهوا إلى القبر، وأنا امشي لأبدأَ جديد عهدي بمصيبة فقد أبي في دنيا من الحب والخوف والقلق، ولي عقل جديد لم أعهده .

آهٍ من هذا المكان الذي تأتيه كل العيون بعبراتها، وتمشي إليه النفوسُ ثقيلة بأحزانها وهمومها، وتحضر فيه القلوبُ إلى بعضها أو بقاياها، فالحب الغائبُ في جوف القبور لا يتغير عليه الزمان ولا المكان في قلب من يحبه، فحين تمتزجُ الروح بالروح تترك فيها من الأشياء التي لا تُمْحى، لأن الروح خالدة لا تُمْحى .

وبدا ليَّ القبرُ كغير عادته، وبغير ما كنت أعهده، فكنت أرجوه داعيا الله أن يحنو على أبي ويرفق به ويتسع له، ورأيتُ القبرَ في داخله يشرحُ ويُفسرُّ جلياً كلمة الموت، وارتفع صوتُ القبر مع لسان أبي الساكن بلا حراك في جوفه، وتداخلت الأصوات في رأسي وكلاهما يقول: أسرعوا واصرفوا الحياة كلها في الخير فإنها لا تكفي، أصلحوا من شأنكم ما فسد وأسقطوا من أيامكم الشر والضعف والخيلاء والأنا، أميتوا في نفوسكم شهواتها وأدرانها، فليس في الدنيا أعظم موعظة من الموت، وحين عدتُ أدراجي متخاذلاً للبيتِ شعرتُ أنه قد تغير حاله وتبدل مآله، فقد طالته هو الآخر أنياب الموت، ونشب فيه بأظافره، وقد كانت غرفة أبي هي الأخرى تنتحب، سلمتُ على أمي، نظرت إليها وقلتُ لها: إنك بقيةُ ....؟

(نون) ... نصيحة إلى مراهقٍ

أيها المراهق عفواً ...العاشق الصغير

حياكم الله وسلامه عليكم ورحمته وبركاته

أتحسسُ شكواكَ الغير معلنة تحمل في طياتها كل صنوف التردد، وبين ثناياها شتى أنواع القلق، أراك تقبلُ على الحياة أحياناً فتحبُّ كل ما فيها، وتارة تدبرُ وكأنك تخاصمُ كل أهليها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه، والصبُّ يا صغيري تفضحه عيونه، لماذا كل هذا أيها القيس الصغير؟ على رسلك ودعنا نناقش الأمر في رويةٍ واطمئنان، وليكن ما يكون لنصل إلى نقاطٍ ثابتة ومبدأ نلتزم به.

أيها المحب الصغير – لا أخفي عليك أن هواجسك أدخلت على نفسي أكثر من إحساسٍ، أو على الأصح مزيج من السعادة والخوف، ولنكن أكثر صراحةٍ.. هل يا سيدي في دنيانا سعادة دون خوفٍ؟ كلا ، لأن الإنسان في هذه الدنيا وفي لحظات سعادته هناك هاجسٌ خفيٌّ داخله وربما لا يشعر به، وهو الخوف من أن يترك هو مصدر سعادته، أو تتركه سعادته وتزول عنه، وأعتقد أن هذه الآفة لا تختفي إلا في عالم النعيم الأخروي.

سعيدٌ بأنك تخوض أول تجربة حب في حياتك في هذا السن المبكرة، وإن كان لها سلبياتها القاتلة في أغلب الأحايين، وخشيت من الإحساس الانهزامي داخلك على كافة الأصعدة، والذي شعرت به من خلال علامات القلق والاستفهام التي ترتسم على محياك يا صغيري، فلا أزكى نفسي وأنا العالم بهذه القضايا جيداً.

ففي مثل مجتمعاتنا أو عالمنا التسعين وليس الثالث كما يدعون، ومن خلال جلساء المصاطب ومتسكعي النواصي والأزقة يحارب المحبُّ أناساً ليس لهم دخل في معركته أو تجربته الخاصة.

ولكن هون عليك وأمسك بزمام أمرك وحكِّم عقلك وقلبك ولكن بحكمةٍ.

آسفٌ لأني أسترسلُ كثيراً ولكن هذا الموضوع بالذات يثيرُ لدى شجوناً، وأخشى أن يترك لديك آثاراً قد لا تمحوها السنون، ولنناقش الموضوع:

حقيقة ...قد ينصح الإنسان كل الناس، ويفتي في كافةِ القضايا، ويُنَصِّبُ نفسه للناس إماماً، ولكن حين تكون النصيحة لأهله، أو القضية تمسُّ أقاربه، أو من يهمه أمرهم....فلابد أن

هذه القضايا والآراء تحتاج منه بعداً خاصاً، وروية وحكمة قد لا يؤتاها الجميع.
ومشكلتي الآن من أي منطلق وكيف أناقش قضيتك؟ فقد سألتني الرأي والمشورة وأحكمت العقدة، فقلت أنك لا تستطيع أن تتخلى عن فتاتك وتترك هذا الحب الجميل.
أيها العاشق...إذا سألتك من أنت؟ فبماذا تكون إجابتك في لحظة صدقٍ بينك وبين نفسك؟ وفي صفاء ليلٍ وحدك.
بالله عليك من أنت؟ ولماذا تحيا؟ وأي مبادئ تريد ترسيخها في ذاتك؟
أقول لك يا صديقي....لستَ أول من أحبَّ، ولا أخر من أحبته أنثى، وإن دمرك حبك فلن تكون أول من دمره حبُّه، وإن بناك وأعلى شأنك فلن تكون الأول والأخير، فقبلك ملايين العشاق وآلاف الصرعى ومئات من الذين بنوا بالحب بيتاً لن يهدمَ، ولن تتوقف عجلة الحياة وتترصدك أقلام التاريخ لتؤرخَ وتنسجَ أعظم القصص وأنبلها، فهناك الكثير والكثير،ولا تفهم كلامي وتفسره بغير ما أقصد ولكنى وحتى الآن أتكلم بشكل عام.
وكل الذي أريده منك أن أشعر أنك ومحبوبتك أكبر من التجربة، وليس العكس، بمعنى أن تحتوى تجربتك وتقلل من آثارها السلبية بقدر ما تستطيع، ولن يرحمك أحدٌ ولا هي إذا شعر الآخرون أنكما عاجزان، وأن موضوعكما أكبر من سنكما .
افرضا ذاتكما على الجميع بالأدب والقوة والأمانة، وانجحا سوياً ولا تثيرا القلاقل، ولا تفعلوا مشكلة، واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، وفي النهاية سيصفق لكما الجميع إذا نجحتما، وسيديرون رؤوسهم إلى قصة أخرى يتوقعون لها الفشل .
هذه طبائع مجتمعاتنا يا صديقي، مجتمعات تعانى الفقر وفقر الفكر وفكر الفقر، فالفقر يورث الكسل والكسل يُورثُ الحقد والحقد يقف في طريق كل تجربة ناجحة.
فإذا وقف الجميع عقبة في طريقك فاعلم أنك على شبه صواب، وإذا انحاز البعض إلى جانبك بعد فترة فاعلم أنك في طريقك للصواب، وإذا انعكس الموقف وكثر أتباعك ومؤيدوك فثق أنك على حقٍّ .
وقس على ذلك كل تجارب الصالحين وأصحاب الدعوات الخالصة للحقِّ، وكل من ترك أثراً خالداً في التاريخ.
اعلم يا سيدي أن ما قلته إلى الآن كلاما عاماً خذ ما شئتَ منه واتركه جميعاً إن أحببت،

والآن ما أريد قوله:

-أن الإنسان إذا أحبَّ لابد أن يحافظ على محبوبته، ويرى مصلحتها من مصلحته.

-أنك إنسان لك سمعةٌ وهى أيضاً، فلابد أن تكون حريصاً على سمعتها أكثر لأنها فتاة.

-ما لا ترضاه لأختك بأي حالٍ من الأحوال لا تقبله على أولاد الناس وبخاصة من تحب.

-إن كنت تهوى فتاتك فلابد أن تنجح وهى كذلك، حتى لا تدعا مجالاً للألسنة لتلوك في سيرتكما.

-الحب يا عزيزي ما يبنى ويدوم...وليس الأوهام والخيالات التي تدمر فتترك أنقاضَ رجالٍ وأشباه نساءٍ.

-من حكَّم في حياته الهوى ذلَّ وهوى ومن كان الشرعُ قائده من الكوثرِ روى.

-تحلى بآداب النخوةِ والشهامة والشرف حتى وإن خسرت وظننت أن من يخالفوك قد ربحوا فإن ربحهم يا سيدي هو الخسران المبين

-إياك ثم إياك أن تأتى ما يُخجلكَ ويشينك وليكن سرك وعلانيتك سواء

هذه قضيتك أنت وهى وعلى قدر وعيكما ستدوم أو تنتهي .

اجلسا معاً وليكشف كل منكما أوراقه للآخر، وحددا أين المصلحة المشتركة، وأعتقد أن الهيام والشوق والغرام والنار المتأججة في البداية تكفي وتزيد، فلابد أن يأخذ الموضوع منعطفاً آخر لأن الفترة القادمة هى التي ستحدد نجاحه فيما بعد، وأي مشكلة في الدراسة لك أولها ستقف حجر عثرة في إتمام موضوعك، فلا لقاءات ولا اتصالات إلا في أضيق الحدود ولابد من نضج في التفكير.

إلى كل قيسيٍّ صغير: لا أعرف ليلتك أو لُبنتك أو عبلتكَ، ولتكن أي فتاة اخترتها أنت، ومقتنع بها، فهذا أدنى حقوقك في الحياة، بشرط ألا تهمل حقوق الآخرين، لأنك إنسان تحيا في مجتمع أكثر عاداته جاهلية، وأقل عاداته الصحيحة، وحتى الصحيح منها لا نلتزم به إلا إذا كانت مصلحتنا معه، وإلا أدرنا لها ظهورنا.

المحب الصغير.....كلامي قد يكون أقرب للإنشاء منه للرأي والمشورة، ولكنى أفهم جيداً فكر الإنسان الذي يحب، لا يترك محبوبه إلا إذا كان مضطراً لذلك، وأُغْلِّقتْ كل الأبواب في وجهه.

هذه مشاعر وحِدَّةُ الشباب يا صديقي لأن المحبَّ يشعر بذاته من منطق من يهوى وأهميته، وأتحداك إن رأيت حبيباً ترك حبيبته لأي سبب من الأسباب بشرط أن يكون صادق في حبه، وإن تركها قالباً فلن يتركها قلباً.

أكرر علي – المقدمات الطبيعية تؤدى إلى نتائج طبيعية.

فليحدد كل منكما هدفه وطريقه ويرسم صورة واضحة في غياب المشاعر، وليكن بمنطق العقل، وما سيفرضه العقل لابد وأن تسلما به سواء كان الاستمرار، أو أن يترك كل منكما خليله، وأعتقد بمرور دراستكما على خير وبتفوقٍ ودون مشاكل يمكن أن يكون هناك رأى آخر لمن حولكم، وهذه الفترة هي الحد الأدنى لكما لكي يبدأ بينكما الحوار بشكل صحيح وتستطيع أن تقول : أنا فلان وتصبح لك ماهية.

أما الآن فيجب أن يكون الموضوع في أقل حيز ممكن، أما بالنسبة لي لابد أن تكون إنسانا ناجحا، وتحرص على بنات الناس وسمعتهم، وألا يكون حبك عقيماً.

فالحبُّ العقيم:

-تتجلى فيه همومه وتنعدمُ لذته.

-يرفضُ الحلَّ الذي لا تُحَلُّ المسألةُ إلا به.

فلا تجزعنَّ فلستَ أولَ مُغرمٍ.......فتكتْ به الوجناتُ والأحداقُ

واصبر على هجرِ الحبيب فربما.... عاد الوصالُ وللهوى أخلاقُ

-فحافظ على الصلاة.....وورد القرآن....لا تجعل حبك يحتويك بل احتويه أنت، واجعله يدور في فلكك أنت،

ولا تكون أنت التابع.

أعطِ نفسك ثقة وإحساس أنك أكبر منه.

ليس هذا الموضوع تحديداً ولكن كل موضوعات الدنيا لا تجعلها مركزك،

ولتكن دائرتك ومركزك وأقطارك وأوتارك القضايا السامية التي تمس العقيدة والإيمان والآخرة.

واستمد ثقتك من الله فقط... فهو خير معين.

(هاء) ... هل أتاك حديث العاشقة؟

وأسدل الظلامُ ستائره

فكانتْ

ليلةٌ كجناحِ الغرابِ حالكة، والصمتُ يغرس أنيابه ، بـ نفوس جزعة

ولبستْ السماءُ زيّاً ، بلون النساء الثكالى

أبابيلُ الليل العاصفة ، تصمُّ الآذانَ

الأشجار تنتحبُ ، السُّحبُ تكادُ من عقالها تنفكُّ

وقطراتُ المطر تصافحُ النوافذَ ، تبحثُ عن ملاذٍ آمن

أيقنتُ أني... على قارعةِ السهر منتظرٌ

والليلُ ... يفتقُّ الجفن ويوحشُ النفس

وأنَّ فراشي .. برآياتِ الهمّ محفوفٌ

لكنه الطارق ... وما أدراك ما الطارق!!

قطع حبالُ الصمتِ رنينُ الهاتف

هاتفتني ... بعد صفعةِ غيابٍ

فـ تحول ليلُ الشتاءِ الكالح ، إلى ربيعٍ ضاحكٍ

النومُ ودع مقلتي ، ثم عبس وتولى

والهوى آنس وحدتي، ثم دنا وتدلى

ويْكأنَّ

الأرضَ لبستْ زيَّها المحبب !!

وقع صوتها يلامسُ شغافَ القلب ، صوتٌ عذبٌ بالسحر مكتحلٌ

وجاءتْ كلماتها ، تجتثُ من الشتاءِ برده ، وتنبتُ في النفس ذكرى تؤتى أكلها كل حينٍ

كانتْ تحادثني كمن يربتُ على كتفِ يتيمٍ

كنتُ أسمعها بعيني ونبضي

فتطعمُ كلماتها الآذان سروراً ، وتضيء على أركانِ القلبِ نوراً

وصدى حروفها يرق ويبش ويلين ، كحباتِ الندى المحبب

فقلتُ:

أهلا برناتٍ أهدتْ الروحَ والراحة ... إلى أفئدةٍ كلمى

أهلا .. ببستان الهوى وحدائق النغم

مرحى ... بزائرٍ من الفؤاد قريبٍ ... وبصوتٍ كله حسن وطيب

مرحباً بـ ... مَنْ حضوره الدفء ، وأنفاسه العبير

أهلا بمنْ .. ورَّدَ على وجناتها الوردُ

أهلا بمن ... يرسلُ الشوق أفواجاً ، ويبعثُ الحنين أمواجاً

أهلا بحبيبٍ قد طابتْ عِشرته

آهٍ مِنكِ .. وويح قلبي لفراقك!!

آهٍ من سلامة الطبعِ ، وصفاء الود ، وصِبغةٍ من الله فيك لم تُنتكسْ

آهٍ من لحظاتي معكِ ، وزمن من الجنان مسروق

يا إلهي ... خُيلَ إليَّ من سحرها أنها تدنو

فـ أصلحتْ التالفَ من روحي المثقلة، وتأودتْ الحروف عبر الأثير

فـ التحفنا الحلمَ سوياً ، وألبسنا حكاية حبنا ثوباً جديداً

معطراً بزخاتِ المطر ، وقرعنا بابَ الأفق

و رشوْنا القمر كي ينير ويطيل ، فتمايلتْ الجفون من سكرة الحبِّ

فـ غزلنا من الشوق أعذبه

ووأدنا من المجون أدناه

و ألجمنا ضعفنا ببعض كلمات مقدسة

وزادت حرارة الأنفاس

فسكبنا

تنهيداتٍ وآهاتٍ محتبسة ومحتسية مرارة

وانتهتْ من فرط دموع الصمتِ

الذي انقضَّ على حديثٍ

دون تمام......

ونصرُ اللهِ قريبٌ
بقلم: أحمدالحارون
....

من يدقق في أزمة وطننا العربي فيما بعد الاحتلال وطيلة العقود الماضية ولو بنصف عين فلا محالة سيرى كيف جرد العسكر القيم؟ وكيف خرب الذمم؟ وأتى على الأخضر واليابس ورمى بنا في قمامة الأمم، فــحكمُ العسكر يا سادة إنْ حلَّ بـــ وطنٍ، فصعْبٌ خروجه، وهو وإن خرج وطد من ذويه من يحمي مصالحه، فسياسة العسكر لا تدخل في شيء إلا دِخول الإبرة بخيطها في الثوبِ، إن خرجتْ هي تركت الخيطَ وقد جُمِعَ وشُدَّ، فشيمةُ العسكر أنه يلتوي التواء الحبل، ويستوي استواء السيف، عَدُوهُ في أعماقه كامنٌ، لا يعرف من الذكاء إلا المكر السيئ والمراوغة ، لذا فالنظارة السوداء على عيونهم حتى لا تفضحهم نظراتهم، ترى في كلامهم ضخامة اللفظ وقلة المعنى وهشاشة المبنى. ولو بحثت عما في أذهانهم فلا تجد إلا.. اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، وهم يؤثرون حياتهم على أوطانهم، ولذاتهم على واجباتهم، فلا عجب أن ترى الواحد منهم يصلي في اليوم مرةً ويقتل في نفس اليوم ألفاً، وطالما كانت النزعة الفردية في حكم العسكر واضحة كالشمس، فالجميع يلتف حول صنم واحد، فإذا هرم أو جاعوا أكلوه، والكذب أظهر صفات الحكم العسكري، ويرون الكذب نوعاً من الشطارة أو أصلاً يُبنى عليه، لذا ينشأ في إعلامهم وعلى ألسنة العامة ردود ما أكثر ما نسمعها مثل: صحيح ..بجد ... صدق؟ وتصبح حياتنا أشبه بالغفلة أو حقائقها مكذوبة، فنرى كل المشكلات في الحكومة، وفي ذات الوقت نصدق أن حلَّ المشكلات لا يأتي إلا بالحكومة، ولذلك فلا عجباً أن ترى في بلادنا المسكينة الأجانبَ، وأموالَ الأجانبِ وغطرسةَ الأجانب، وعربدةَ الأجانب، ولهو التخابر والتجسس، وليس هذا لأن فيها الاحتلال... بل من ينوبُ عن الاحتلال، ولأن فيها ضعفها، وضعف أهلها وغفلتهم، وهذا لعمري أشبه بكرم الشاة السليخة حين تهب القومَ لذةَ لحمِها، فلا حول ولا قوة إلا بالله! بل الأبعد من ذلك أننا بتنا نستأمنُ من لا عهد لهم ولا ذمة على ودائع أموالنا، ونعطيها لهم عن طيب خاطر ليصلحوا من شأن بلادهم، والأدهى والأمر أننا نقف في صف العدو ونشدد الحصار على بني جلدتنا، فيا للعجب أن تصير حماس عدواً وتصبح إسرائيل صديقاً! هذا ما جنيناه عبر عقود من العسكر ورجاله يا سادة...قصدي نحن العبيد! هل بعد هذا الكرم من كرم؟! فالشعب الذي لا يحكمه الصدق لا تجد في مظاهر حكمه إلا الكذب والمبالغة وتسلم الأيادي، وخير أجناد الأرض، والقضاء الشامخ، وزعيم وكوتش وباشا وبيه وتيه، واللات والعزى، ورجالة وطول عمر ولادك يا بلدنا رجاله(طبعا مع رقص يتعلم منه إبليس)، ولابد لحكم العسكر من جوقة تسبح بحمده وتقدسه وتعطي فروض الولاء والطاعة كل صباح، ليستمر مسلسل الكذب على أغلب الشعب المسكين الذي يصدق الأكاذيب، لذا فلا غرابة أن تجد الإعلام الكاذب، وذيول القضاء اللا شامخ، والفلول وأشباه المعارضة يتبعون انقلاب العسكر كما تتبع أولاد البهائم أمهاتها رجاء ألبانها، فإذا انقطع ذلك اللبن انصرفت

عنها، فمن يثق في الانقلاب أشبه بمن يتعلق بالسحاب ويرجو المطر الدائم، نعم قد يلتئم المطر ساعة لكنه لا محالة منقطع ساعات وأيام. ولعل ما يتردد على ألسنة الكثيرين لماذا حال الأمة هكذا؟ ولماذا يزداد الأمر سوءً، وتتعالى هجمات الأعداء علينا أو لماذا يسلط الله بعضنا على بعض؟ ولماذا ندعو ولا يُستجاب لنا؟ وما أهمية العقوبات المتوالية على الأمة؟ لماذا تزداد روح الأنا وتتورم، ويتوه الإيثار ويتوارى خجلاً كعذراء في خدرها ؟ لماذا الكذب يروجوه والصدق مهاب؟ لماذا نرى طرق العدوان موصولة، والحق والإنصاف لم نعد ندري لهما سبيلاً؟ هل الكرامة والقدوة والمروءة سُلبت من الصالحين إلا من رحم؟! أسئلة كثيرة وإجابات حيرى، ولكنها سنة الله في كونه. فالله أبداً لن يحابي من قصر في الأسباب ومن حاد عن نهجه،" سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا"(الفتح:23). ربما تكمن هذه العقوبات أنها صور من عتاب الله لأمته، وإقرار منه أنها تخلت عن رسالتها، وتخلت عن موقعها الريادي، وقصرت في حمل أمانتها، وقد تكون وسائل لاستنهاض الهمم والعودة إلى الرشد من جديد. فلقد صار الفتق صعبٌ رتقه، وبعدت الشقة بين الماضي والحاضر، ونخشى ألا نجد مستقبلاً يشبه حتى حاضرنا الأليم! فعلى الجميع أن يلتمس تقويم ما يعتدل، وتبصير من يفهم. ولابد من عودة الأمة لوعيها عبر التغيير المنشود، والذي يستوجب التربية على مستوى العقل والنفس والروح والجسد، تربية يكون فيها الولاء لله وحده، ومن خلاله تنضبط كل الانتماءات والعواطف، تربية تُبنى على المعايشة والفهم والإخلاص والصبر، تربية تنهض بركني الأمة (الدين واللغة) والاعتزاز بهما والانتماء إليهما، فلا نهضة بالشرق دونهما. فمن خصائص هذا الدين أنه صلب فيما لابد للنفس الإنسانية منه إذا ابتغت الكمال، وهو في ذات الوقت يتمتع بالمرونة والتعايش فيما لابد منه من أحوال ومستجدات الأزمنة على اختلافها، وإذا نهضت أمتنا بدينها الذي يتمتع بأخلاقه الكريمة.. نهض الجميع من أهل الوطن والأمة على اختلاف مللهم وطوائفهم. وهذا رسولنا - ﷺ - يقول: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد: سلط الله عليكم ذلّاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)".لذا أقول لانقلاب العسكر ومن في أردافه ينعق وينعم : أنتم تسطرون أسوأ أيامكم، وأقول لمناهضي الانقلاب: أنتم فخر الأمة وثوبها الناصع، فحافظوا على سلميتكم والله ناصركم، وتسلحوا بالإيمان والصبر والمرابطة، فمتى يغلفُ الإيمانُ النفسَ ويتخللُ أعماقها ينطلقُ الإنسانُ في الكون الفسيح ليعمره ويعبر عن عواطفه وانتماءاته دون مواربةٍ ولا خجل، بل يعتز ويفخر بوطنه وإنجازاته، ولا يتنافي هذا الحب مع حبه لدينه وعقيدته وأمته مادام بعيداً عن العنصرية والتطرف ومستمداً من قواعد الدين، هذا ما تعلمنا في مهدنا مع دعوة الإخوان ونشأ ضميرنا وعقلنا الجمعي على قدسية الوطن والتضحية من أجله، فلا غرابة أن يكون الإخوان في طليعة أي ثورة، بل الأبعد من ذلك أن أقل عضو فيهم ولا نزكيهم على الله يقبل بأن يكون قمحاً للإنسانية يُطحن ويُعجنُ ويخبزُ لرفعة هذا الدين والوطن، وشرفاء الوطن على اختلاف انتماءاتهم عازمون على الخلاص من هذا الإرث العفن والله ناصرنا، وتباً للعسكر.

يا صغيري

.....

رسالتي إليك يا بُني ربما تكونُ الأولى وفي ذاتِ الوقت الأخيرة، فلا أدري .. قد تسعفني الكلمات ولا يمهلني القدر، هل سـ تقرأ كلماتي فتسمعها؟ أم تصم آذانك وتولي عنها مدبراً؟ اعلم يا صغيري أني أكتبُ لك الآن لتفهمَ بعد سنين، ولعلك حين تكبر لا تجدني بجوارك، فإن استوحشتَ طول الدربِ وقلة السالكين فاذكرني، واعلم أن روحي معك تعينك وترقبك، فتسعد بطيبِ فِعالكَ، وتحزن لسوءِ مآلك، وثق يا بني أنكَ مشيئة الله في هذا الكون، فما كان في ذهننا أنك ستقبل على الدنيا، وكنا نتفادى مجيئك أنا وأمك قدر المستطاع، فقد عزمنا النية أن نكتفي بأختك لخمس سنين، ربما لرعايتها على الوجه الأفضل، وأن تأخذ حقها من الاهتمام كما حلمنا، لكن.. شاءت إرادة الله أن تأتي، فاستسلمنا لما ليس منه بد، وقلنا لعل الخير يكمن في غير إرادتنا، وليكن في فكرك أني كنت عن الزواج عازفاً، وما تزوجت إلا خشية أن يحاسبني الله على قدرتي أن أعفَّ مسلمة وتخاذلت، وكنتُ أفرُّ من أن أكون سبباً في قدوم أناس للحياة يعانون في بلدٍ همها وأد الحريات، وتكميم الأفواه، وسرقة الفقير والعطف على اللصوص والقتلة... وأنا الذي في قناعتي أن من يفر من الزواج وهو قادر عليه كمن يفر من الجهاد سواءً بسواءٍ، وأن الأرامل والعوانس هما حقيقة ذنوبُ البعض إن لم يكونا كبائرهم، وقلت في نفسي: لعل الله يرزقني بولدٍ يكون سبباً في دخول الجنة، فحين أكتب إليك فاسمع وكأني أحادثك، ولا تصم أذنيك حين أناديك وأنا في عالم الغيب، ففي مواطن الضعف كن قويا بالله ثم بي، وبدلاً من أن تكون بعض ذنوبي فزد في قليل حسناتي. واعلم يا ماجد أن الذي هو أبوك الآن هو بقايا جسد هدَّهُ طول المسير، وأضناه الخوف من العاقبة، وأنهكه الخوف من سوء المصير، وأن الانقلاب قد طحن أباك كما تطحن الرَّحى الحَبَّ بين فكيها، غداً أو بعد غدٍ.. ستميل شمسُ أبيك إلى مغربها، وستأتي عليك

ليلة لا قمر فيها، وستشعر بصقيع الدنيا في عروقك والجميع حولك، ليلة سينهار فيها ما تبقى من أبيك، فحافظ على الرجل الصغير داخلك، وحين أبيتُ ليلتي الأخيرة مُسجى إن قُدِرَ لي حيث كان جَدُّك، فكن بجواري داعيا لا باكياً، واعلم يا بني أنك لن تستطيع أن تشاركهم حملَ جثماني، وإن تظاهرت بذلك، فلن تقوى ، لكن ساعتها ستتحول كل حواسك إلى آذان وعيون، فتراهم وهم يهدهدون المسير، ودموع العالم في أعماق أحداقكَ، وأحزان الدنيا بقلبك تتقلبُ كجمر الرمضاء، وقريباً يا وحيدي لن تراني، فقد نسجتْ أيدي الردى أكفاني، وحتماً وعاجلا وليس آجلاً ستختلط أحزان الفِراق كلهبِ الشموع، وستُمسحُ الوجناتُ بمناديل الدموع، وينبتُ اليُتم لديك بأديم الضلوع، فجميعنا أماناتٌ .. وحتماً لله الرجوع، وحين يأخذني الرفاق في الظهيرة إلى دار البقاء، فحينها يا بني استقوِ بالله واسترجع، واصبر ففي الصبر راحة الحائر، وفي الرضا هدوءُ بالِ المضطرب، واستحضر لطف الله لك في الأخذ كما العطاء، فعطاء الله عطاء وأخذه عطاء، وإن ربي لطيف لما يشاء. أعلمُ يا بني أنك ستقارن نفسك بغيرك، وربما تحملُ على أبيك أن تركك دون أصحابك، وكان في وسعه أن يتركك على خيرٍ من ذلك، نعم... كان بودي أن أضع بين يديك كنوز العالم، وسواري كسرى وقيصر، ومالاً يغنيك عن ذُلِّ السؤال، لكن يا ولدي هذا رزقي الذي ساقه الله لي، وأعانني عليه، وما تأففت ولا تبرمت، ولا سألتُ غير خالقي، ويقيني .. بأن لا حيلة في الرزق، ولا شفاعة في الموت، وكنتُ أمهد لك دائما بأن ميراثك مني هو العلمُ والأخلاقُ والكتبُ، وكلمةً كتبتها ربما تعينك على صخب الحياة، وأنا يا بُني لا أستعطفك، ولا أرجو منك لِين قلبك، ولا أن ترق لحالي، نعم رفضت السفر وجمع المال لأظلَّ بجوارك، وتركتُ من الفرص الكثير خشيةً عليك وعلى أسرتنا الصغيرة، فيقيني أن السعادة ليست في المال وجمعه، ولكنها في قلب المؤمن القانع برزقه، فالأرزاق يا بني تكفي كلَّ الناس، لكن الطمع لا يكفي إلا القليل، وعشتُ أردد وأضع نصب عيني " وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا"، ففي هذه الآية، ومعها، أدركتُ.. وتمنيتُ أن أحقق التقوى لنفسي ثم لكَ، وأن أعيش حياتي على الوجه الذي يرضيني، فحين تشكو الفقر يا بني لا تلجأ إلا لخالقك، وإن لم تملك إلا القليل فتصدق به لأقرب محتاج، وسيؤتيك الله من حيثُ لا تحتسب، نعم كان رزقي قليلاً، لكن حرصتُ أن يكون من حلالٍ، وكم

كنتُ أغبط نفسي حين يغشاني الرضا بينكم، وأشفق على من ترك أطفاله لأجل المال قائلاً: مسكين هو، هو الفقير وإن مَلَكَ، وأنا الغني مع الْمَلِكِ. حين تشكو الفقر يا بني تذكر كمْ رتلتُ على رأسك آياتِ الرقيا لأرقيك، وكم قرأت المعوذتين لأُعيذك، وكم سهرت بجوارك وأنت تلعب، وكم شاركتك اللعبَ والناس نيام، وكم جهزتُ لك طعاما تشتهيه قبل الفجر، وكم جلست بجوارك أعلمك القرآن لتحفظه، وكان يقيني أني أعلمك القرآن ليحفظك، فاحرص على أن يراك الله حيث أمرك، وإياك أن يراك حيثُ نهاك، وان اختلط عليك أمر فقل: لو رآني أبي وأنا على هذا النحو أكان يرضيه؟ فإن أجبت بنعم فأكمل، وإن أكملتَ بلا أو ترددت فانسحبْ على عجلٍ، وها أنا أستجمع مخاض الكلماتِ من رحِم الشيخوخة التي تدبُّ في أوصالي لأقص عليك بعض الذي تجهله عني. وأقسم لك يا بني ما ذاق قلبي في الهوى طعماً مثل حسن الثناء على خُلقك وحيائك، ولا أنتشت روحي طرباً إلا لمزاحك، وما لهوتُ وما ضحكتُ والتعبُ يغشاني إلا معك ، ربما تتذكر بعض أحداث الطفولة، وقد تختلط عليك بعض المشاهد، وحتماً سـ تسترجع بعضَ ما كان بيني وبينكَ، وفي خلوتك ذات مساء ستذبل الورود بغرفتك، وتغادر البسمة جدران بيتنا، وتسهر دون أبيك، فتعلو الكآبة مُحياكَ وجدران الغرفة، فساعتها ...ستقلِّبُ الكتبَ وتبحث عن أوراق كتبتها هنا وهناك، وستقضي الليل الطويل تبحث في النت عن سطر من كلماتي، وستنظر إلى صورتي تحادثها وصقيع اليُتم يضرب في أحشائك، ساعتها ...سترتجف يداك وتتنهد تنهيدة الحزن الطويلة، وحين تنهمر دموعك يا بني تذكر كم أحببتك!! وتمنيتك مثالاً للرجولة والنخوة والإباء والكرامة والإيثار، واجعل يا بني من موتي حقيقة الدنيا العارية، وتذكر أنكَ ستشرب من ذاتِ الكأس، فلا تفرح بالدنيا إن بسطت لك، ولا تحزن كثيرا إن أدبرت عنك. نعم يا ماجد.. سميتك ماجدا إرضاءً لجدتك علَّ الله يجعل فيك بعض السلوى عن فقدنا لعمِّكَ الكبير الذي رحل قبل مجيئك بكثير، وسأرحل مثله وأختفي، سيختفي من عالمك الرجل الذي كنتَ تحبه وتهابه في ذات الوقت، الرجل الذي طالما عاش يوزع البسمة على الجميع دون أن يعرفها، الرجل الذي تعبت قدماه من السير حافياً في الصغر في كلِّ دروبِ القرية وحقولها، الرجل الذي حلم أن يمارس هوايته في لعب الكرة صغيرا ولديه حذاءٌ يحمي شكاية الأقدام وتقرحاتها، الرجل الذي أرهقته وأتعبته السنوات العجاف في الغربة، وفي أحضان

الوطن، الرجل الذي ما هان عليك سخطه، الذي تألم لألمك، وبكى لبكائك، وخاف عليك أكثر من خوفك على نفسك، الرجل الذي أحبك قبل أن تأتي، وانتظرك بأفراح وأهازيج العالم كله.. ذاك الرجل الذي سيحطم الموتُ قلبه بكل سهولة ودون عناء، ولا يترك له فرحة أن يراك غضّاً فتياً. وثق يا بني أن السعيد في دنيانا الفانية هو من يتقاسم الخير والحبَّ مع الناس، السعيدُ من يتقاسمُ الخيرَ والفضيلة مع الناس فتتضاعف سعادته، والشقي هو الذي يتمحور حول ذاته وأنانيته.. الشقيُّ يحتكر الخير ويبخل به، فيختنق به ثم يموت في صدره ، فمن عاش لنفسه يا بني إنه لعَمري حياته قصيرة، وتنتهي بموته، لكن من عاش لغيره يظلُّ حياً وإن مات، فاجعل قلبك مليئاً بالحبِ والعفو والتسامح، فمعاني الخير جميعها كلما أخذنا منها تزيد، أما الأشقياء فهم الذين امتلأت قلوبهم حقداً ونقمة وكراهية، وتذكر قول الصحابي الذي بُشِرَ بالجنة ومقولته الرائعة"غير أني أبيتُ وليس في قلبي حقدٌ لأحد". وإن سألك أحدٌ عني قلْ لهم : كان أبي مسكيناً ويحب المساكين، وأني مارستُ أصعب المهن، وهي مهنة العزلة وحمل هموم المحتاج مع قلة ذات اليد، وطالما نظر إليَّ الكثير نظرة أني ذو مالٍ من فرط عفتي واستغنائي وحيائي، وكنت ألزم البيت كثيرا خشية أن يسألني محتاج وأنا لا أملك، ومن فرط حرصي يا بني عشقتُ الليل، ففيه آنس بخالقي وعالمي الذي أفتقده في الواقع، وعشقت الفجر منذ صغري، وعشقته بعد مجيئك لأنه الوقت الذي أقبلت فيه على الدنيا، عشقتُ الصمتَ والسهر والشكوى لله والتأمل في ملكوته. ازهد في الدنيا يا ماجد تأتيك مُرغمة، واقنع يا بني برزقك، ففي القناعة كل الرضا، وكل يوم يمر عليك وأنت بعافية في دينك يستوجبُ منك كثير شكر، نافس العلماء وأهل الدين والورع ومن يذكرك بالآخرة، واحجز لنفسك مكاناً بينهم، فإن لم تستطع فقريباً منهم، اجعل حبك للصالحين عبادة وتقرباً، وصادق من يذكرك بتقصيرك في جنب الله والآخرة، وابعد عن صديق السوء ما استطعت إلا في نصحٍ أو قولِ حقٍّ، واعلم يا بني أخيرا أني حاولت أن أكون صالحاً فربما ينالك فضل... و"كان أبوهما صالحا"، وآخر كلماتي إليك يا بُني: إن لم تستطع أن تداوي الآخرين فلا ترقص طرباً على جراحهم، وإن لم تزد على الدنيا بحسن خلقك، فلا تكن زائدا عليها بسوء فعلك، وأن أمنية أبيك أن تموتَ شهيدا، فتمناها على الله بصدقٍ، فربما تنالها، فقد تمنيتها في رابعة، لكن أبتْ عناية السماء أن أحظى بها، وقالت لي: أنت أهون من أن أتخذك

شهيدا.... حفظك الله يا بني وكل أولاد المسلمين، وإلى لقاءٍ تحت عدالةٍ قدسيةِ الأحكام والميزان.

....

فهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة

ألف: أقبل وسترى باء: بين العقل والعاطفة تاء: توشك وها قد أوشكت! ثاء: ثورة يناير جيم: جمالٌ حقيقي حاء: حديثُ الليل خاء: خيانة مع وقف التنفيذ دال: دولابُ جدتي ذال: ذكرى وميلاد راء: رَبِّ زِدْنِي عِلْماً زاي: زهرتي سين: سامحْ تسعد شين: شعبٌ متدينٌ بطبعه صاد: صراع الماضي والمضارع والأمر		ضاد: ضعفٌ واستسلام طاء: طاغية ظاء: ظلال آية عين: علماء وعوالم غين: غزة فاء: فضيلةٌ وفتيلة قاف: قالت شهد وقلتُ كاف: كنتُ يوماً أحبها لام: لماذا ارتفعتْ مآذننا؟ ميم: موتٍ يحيا نون: نصيحة إلى مراهق هاء: هل أتاكَ حديثُ العاشقة واو: ونصرُ الله قريبٌ ياء: يا ولدي	